كانو الثقافية

العدد العاشر
ربيع الآخر 1436 هـ
فبراير 2015 م

مجلة ثقافية نصف سنوية - تصدرها جائزة يوسف بن أحمد كانو

احتلال..
صهيوني غادر ومقاومة فلسطينية شريفة

وسائل الإعلام والأزمة الثقافية في بلدان العالم الإسلامي

التوحد بين الواقع والتهويل

الحضور العربي في رواية المنفى

بسم الله الرحمن الرحيم

كانو الثقافية

مجلة علمية ثقافية شاملة تأسست عام 1429هـ - 2008م
تصدر عن جائزة يوسف بن أحمد كانو - بمملكة البحرين
العدد العاشر – ربيع الآخر 1436هـ - فبراير 2015م

المشرف العام
أ.عبدالعزيز بن جاسم كانو

هيئة التحرير

رئيس التحرير
د. سعيد بن عطية أبو عالي

نائب رئيس التحرير
د. عبداللطيف بن جاسم كانو

مسؤول التحرير والعلاقات العامة
أ.مبارك بن سعد العطوي

قواعـد النشر

- غايتنا المساهمة في تنمية الإبداع والثقافة والتقدم العلمي.
- المجلة ترحب بالبحوث والدراسات في جميع المجالات العلمية والأدبية والاقتصادية.
- وتحتفي أيضاً بالموضوعات المتعلقة بالطب ومجالات التقنية والمعلومات إلى جانب الدراسات المستقبلية.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة توضيحية وليست مرجعاً للحدود الدولية.
- البيانات والإحصاءات تقريبية.
- المجلة لا تلتزم بإعادة المواد التي تتلقاها للنشر.
- ما ينشر يعبر عن رأي الكاتب ولا يعبر عن رأي المجلة.
- يجوز الاقتباس مما ينشر شرط الإشارة إلى المجلة ورقم العدد وتاريخ الإصدار، وإلا اعتبر خرقًا لقانون الملكية الفكرية.
- يرسل الكاتب عنوانه كاملاً، وسيرته الذاتية إذا كان يكتب لأول مرة في هذه المجلة.

المجلة ترحب بكل نقد وتوجيه واقتراح

- يسعدنا أن نتلقى رسائلكم بواسطة البريد أو على جهاز اللاقط (الفاكس) أو على البريد الإلكتروني.

وللجميع شكرنا وتقديرنا،،،

هيئة التحرير

جميع المراسلات بإسم رئيس التحرير

ص.ب: 1170
المنامة – مملكة البحرين

هاتف
(+973) 17226153

فاكس
(+973) 17226154
البريد الإلكتروني
kanooawd@batelco.com.bh
الموقع الإلكتروني
www.ybakanooaward.com

جرافيكس
الـرافـد ميـديـا ذ.م.م
Al Rafid Media W.L.L
alrafidmedia@gmail.com
+973 39139122

المؤسسة العربية للطباعة والنشر
رقم التسجيل: SYKCO 786

المحتويات

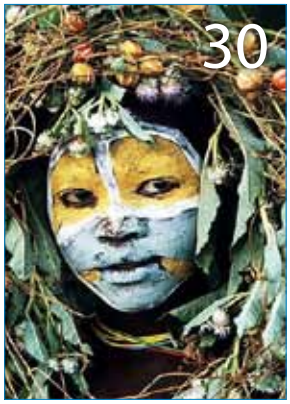

فكـر وثقـافة

- احتلال صهيوني غادر ومقاومة فلسطينية شريفة — 6-21 — د. سعيد بن عطية أبو عالي
- قراءة تأملية في واقع الربيع العربي — 22-27 — د. عدنان نور الدين بسيسو
- أفارقة نحن وعلاقاتنا ببقية العالم تتولى الكلام — 28-33 — أ.د. عبد السلام فزازي

علوم طبية

- التوحد بين الواقع والتهويل — 34-43 — د. هدى صباح

دراسات إقتصادية

- دور القطاع الخاص في تنمية ودعم الثقافة في الوطن العربي — 44-51 — سعاد محمود نجيب
- وسائل الإعلام والأزمة الثقافية في بلدان العالم الإسلامي — 52-67 — د. رضا عبدالواحد أمين
- تصور مقترح لوقف نقدي يمول المشروعات الصغيرة للفقراء — 77-81 — د. نادية محمد الدمياطي

دراسات أدبية

- الحضور العربي في رواية المنفى — 82-83 — أ.د. عبد الرزاق حسين

إضاءات

- أخبار وفعاليات — 91-96 — مبارك سعد العطوي

احتلال صهيوني غادر ومقاومة فلسطينية شريفة

د. سعيد بن عطية أبو عالي

(الاحتلال) كلمة بغيضة لدى كل إنسان صغيراً أم كبيراً وذلك لأنها تعني "استيلاء شخص على حق أوحقوق آخر أوآخرين قهراً" وفي هذا السياق فإن معجم المعاني الجامع يقول إن الاحتلال هو: "دخول البلاد والاستيلاء على أراضيها قهراً وغزواً". ولقد عانى الإنسان – في العصر الحديث – من الاحتلال والاضطهاد بأن يقوم مجتمع أودولة ما بغزوأراضي الغير واحتلالها قهراً في أماكن كثيرة مثل النزاع على كشمير في القارة الهندية منذ (١٩٤٧م) وكذلك النزاع على قبرص في اوروبا منذ (١٩٦٤م) والاحتلال الغادر لفلسطين في قلب البلاد العربية منذ (١٩٤٨م).

قدس

وكل (احتلال) له أهدافه ومناهجه وأساليبه التي تقوم على فكرة (الاغتصاب) لتحقيق أهداف جغرافية أواقتصادية أوسياسية محددة؛ وقد يكون للتمييز العنصري ضد سكان الأرض مثلما حدث في جنوب أفريقيا (1948م) وفي كل هذه الحالات يأتي المستعمر لتحقيق هدف أوأهداف ثم يرحل.

أما احتلال فلسطين العربية من قبل الصهاينة الغاصبين فقد أتى لتحقيق الأهداف السابقة مجتمعة إضافةً إلى طرد أهل الأرض من أراضيهم واغتصاب مساكنهم ومزارعهم وجميع أسباب ومظاهر الحياة والتاريخ في بلادهم.. إن استعمار الصهاينة لفلسطين هواغتصاب استيطاني يستولي على الأرض ويطرد أهلها منها ويمحوجميع ظواهر تاريخهم وثقافتهم وحضارتهم. إنه اغتصاب أقبح من الاحتلال والاستعمار والتمييز العنصري. وهكذا بمفاهيم:

- اغتصاب الأرض
- انكار الشعب صاحب الأرض
- طرد صاحب الأرض وحرمانه من جميع حقوقه في الحياة

جاء الصهاينة إلى فلسطين وكرروا نفس أسلوب اضطهاد الذي واجهوه على أيدي المسيحيين في اوروبا وخاصةً في ألمانيا. فقد عاشوا منبوذين ومحتقرين في أحياء قذرة محرومة من الخدمات وأطلق عليها الجيتو(Ghetto) وأصبح الجيتويعني: حي اليهود أوحارة اليهود. ولعلَّ أول جيتوأقيم لليهود كان في مدينة البندقية في إيطاليا 1516م. عندما شاع احتكارهم للتجارة واستغلالهم الجشع للناس. وتعززت فكرة عزل اليهود عن بقية المجتمع الذي يعيشون فيه بصدور المرسوم البابوي بذلك عام 1555م. وقد فرض الأوروبيون على اليهود العيش في هذه الأحياء المعزولة لدرجة وأنهم إذا خرجوا في النهار لقضاء حاجاتهم يضعون شارات ملونة على أذرعهم أوعلى رؤوسهم ليعوفوا بها.

فكرَّ عدد يهود الأوروبيين في إقامة وطنهم في الأرجنتين بأمريكا الجنوبية

الحلم بوطن قومي لليهود:

والعجيب أن اليهود استمرأوا العيش في هذه الأحياء المعزولة لأنها سمحت لهم بمزاولة طقوسهم الدينية بحرية وبعيداً عن غيرهم (الأغيار)، ويطبقون شريعتهم فيما يخص الأحوال المدنية والنزاعات بين الأفراد؛ ويخططون في هدوء للاستيلاء على مفاصل الاقتصاد في بلدان تدين بالمسيحية وتعتبر العمل في غير الزراعة عيباً اجتماعياً..

ومع قيام الثورة الفرنسية 1789م وانتشار أفكار التنوير بدأت الجيتوهات (حارات اليهود) تتهاوى؛ وأحسَّ اليهود أن فناء هذه الحارات تهديد لكيانهم وهويتهم ونتيجة لذلك تحرك الضمير اليهودي ودعا إلى ضرورة العمل على قيام دولة خاصة بهم تحتضنهم ويحتمون داخلها من الاضطهاد الأوروبي. تنبه القادة الصهيونيون إلى ضرورة توحيد أبناء الديانة اليهودية في نسيج اجتماعي سياسي واحد يحفظ هويتهم اليهودية ويحقق لهم أمل إنشاء وطن قومي خاص بهم.

وأحب أن أشير إلى أن هذا التفكير (انشاء وطن قومي) خرج بالعقلية اليهودية من مجرد تطبيق التعاليم الدينية وتحقيق الثراء إلى مجال أرحب يحلمون فيه بوطن؛ ولكن عقليتهم لم تتحرر ولم تحاول ان تتحرر من الخرافة الكبرى وهي خرافة أنهم أبناء عنصر واحد وأن (الأغيار) أعداء لهم. – في غالبيتهم – إنهم وحتى كتابة هذه السطور لا يرون أن غيرهم لا يستحقون الحياة إلا إذا كانت حياتهم (حياة الأغيار) تحقق شيئاً من مصالح الشعب اليهودي.

على أيّ حال فكرَّ عدد من اليهود الأوروبيين في إقامة هذا الوطن في الأرجنتين بأمريكا الجنوبية ونصحتهم حكومة انجلترا بالإستيطان في (غانا) بأفريقيا. ولكنهم اختاروا (فلسطين) قلب الأمة العربية. وفي زخم الحديث عن القوميات وتعالي كل قومية على أخرى، بدأت تطفوعلى بعض الكتابات والندوات فكرة (السامية) بالانتساب إلى سام بن سيدنا نوحٍ عليه السلام واختصوا أنفسهم بهذه الصفة علماً أن العرب أيضاً هم ساميون ينتسبون إلى سام بن سيدنا نوح. ولكن المؤرخين الصهاينة وكذلك بعض الأحبار والحاخامات من يهود اوروبا حرموا غير اليهود (وخاصة العرب) من هذا النسب افتراءً وتضليلاً.

وبحثاً عن سند فكري يدعم هدف إقامة وطن قومي اجترح الصحفي اليهودي النمساوي وليام مار مصطلح معاداة السامية (Anti-Semitic) في مقالاته الصحفية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولقيت هذه الفكرة رواجاً في الأوساط اليهودية واعتبروا كل من يعاديهم أوعلى الأقل يختلف معهم في الرأي (لاسامي) ويجب مقاومته إلى درجة تصفيته من الحياة. قام اليهود خلال هذه الفترة (فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر) بتنشيط تعاملاتهم الربوية، وتعظيم ثرواتهم المالية؛ وتقديم الرشا والهدايا إلى ملوك أوروبا وزعمائها، والترويج لديهم بفكرة أنهم مضطهدون ومحرومون من حقوقهم وأنهم مشتتون في مختلف المدن الأوروبية؛ وأنهم (شعب بلا أرض) ويحتاجون لتحرير وتهجير أبناء ديانتهم (اليهود) إلى (أرض بلا شعب) تضمهم تحت علم واحد في وطن واحد وأن أرض الله واسعة يمكن التفاهم على توطين اليهود في أيها بلد لا يوجد بها سكان.

عقد اليهود عدة مؤتمرات أبرزها مؤتمر بازل الأول الشهير الذي عقد في مدينة بازل بسويسرا من 29 إلى 31 من شهر أغسطس في عام 1897م بقيادة ثيودور هرتزل..

1860-1904 (Theodor Hortzel م) وهو صحفي يهودي نمساوي مجري، ولد في بودابست

والتحق بجامعة فيينا ومنها حصل على درجة الدكتوراه في القانون 1884م. ولكنه تحول للعمل في الصحافة والأدب وعاش علمانياً إلا أنه امتطى موجة تحرير اليهود من الاضطهاد في أوروبا. طلب من الامبراطور فيلهلم الثاني امبراطور ألمانيا دعمه في توطين اليهود في فلسطين فوافق على ذلك.. وسافر إلى اسطنبول وطلب من السلطان عبد الحميد الموافقة على ذلك ورفض السلطان رفضاً قاطعاً حتى أنه لم يسمح ببيع أراض وممتلكات لليهود في فلسطين. توالت المؤتمرات في بازل عام 1898، 1899، وفي عام 1900م عقد المؤتمر الرابع في لندن حيث أمكن إقناع حكومة انجلترا بتأييد هجرة اليهود إلى فلسطين وذلك لاسترجاع أرض الأجداد..

(The Restoration of the old Land)

وألبسوها غطاءً دينياً. وقد تعهدوا في محادثاتهم مع زعماء الدول الغربية وخاصةً انجلترا بأنهم سيعملون في مهجرهم الجديد (فلسطين) لخدمة المصالح الغربية

بدأت أفواج المهاجرين اليهود تصل إلى أرض فلسطين وقام القادة والمفكرون بإحياء فكرة الصهيونية نسبةً إلى جبل صهيون القريب من القدس؟.. وكان ضمن المهاجرين اليهودي البولندي دايفيد جرين الذي غير اسمه إلى دايفيد بن جوريون..

(David Ben Jurion) تيمناً بيوسف بن جوريون الذي استوطن القدس إبان الاحتلال الروماني. وبن جوريون أصلاً ولد في مدينة بولينسك البولندية 1886م وانضم إلى إحدى الكيبوتسات (المزارع الجماعية أوالمستعمرات) ولمع نجمه حتى تزعم حزب عمال اسرائيل (الماباي) وقبل مبدأ تقسيم فلسطين إلى دولتين يهوديووعربية ونال الاعتراف بدولة اسرائيل عام 1948م وأصبح رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع وقاد الحرب ضد الدول العربية وسماها حرب الاستقلال.. وهنا تبرز الدهشة ويزداد العجب: حرب استقلال عن من؟ وممن؟

وبقيام دولة الاغتصاب اسرائيل تبلورت حركة المقاومة الفلسطينية ضد الصهاينة المغتصبين الذين اغتصبوا الأرض وطردوا أهلها منها بالقتل والتشريد والترهيب. ولقد قال بن جوريون: "بالقتل والتشريد والإجلاء سيموت الكبار وينسى الصغار". أردت بهذه المقدمة الطويلة اثبات أمور أساسية أهمها:

- اليهود تعرضوا للاضطهاد والعزل والإقصاء في اوروبا من قبل المسيحيين؛ وفي المقابل فإن اليهود الذين عاشوا في الدول العربية لم يتعرضوا لأي اضطهاد أوعزل أوإقصاء.

- الزعماء اليهود الذين قادوا الفكر الصهيوني والحركة الصهيونية هم من جذور وأصول أوروبية حيث ولدوا وعاشوا، ولم يكونوا من أصول مشرقية ولا من بلاد عربية.

- اليهود عندما فكروا في فلسطين فإنهم كانوا يعلمون أنها أرض للشعب الفلسطيني الذي يعيش عليها منذ آلاف السنين.

- وعد بلفور الصادر عام 1917م بتأييد اليهود في إنشاء (وطن قومي) لهم في فلسطين كان وعداً ممن لا يملك لمن لا يستحق.

- فلسطين ورد ذكرها "منذ القرن الثامن عشر ق.م (قبل الميلاد) بأرض كنعان(1) كما وردت بنفس الاسم في المصادر المسمارية..

(Kinahhiأو Kinahna). وأصل كلمة فلسطين (فلستيا) وردت في سجلات الملك الآشوري أدد نبراري الثالث سنة 800 قبل الميلاد بأن قواته اخضعت فلستو(Palastu) وفرضت على أهلها دفع الضريبة. وقد ذكرها المؤرخ الشهير هيرودوت (Herodotus) بأنها "الجزء الجنوبي من

سوريا أوسوريا الفلسطينية.. وحتى حدود مصر"

وذكـرهـا مـؤرخـون رومـان أمـثـال سترابو(Strabo) وديودوروس (Diodorus) وغيرهما معتمدين على نصوص توراتية. وورد اسم فلسطين صريحاً في تقارير الحجاج المسيحيين التي قدموها لكنائسهم.

وجاء القرآن الكريم يذكر فلسطين في سورة المائدة، الآية (21): (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) وفي الآية 71 من سورة الأنبياء: (الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ). واستهل الله سورة الإسراء بقوله: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ). وأجمع المفسرون على أن الأرض هي أرض فلسطين وأن "المسجد الأقصى" هو بيت المقدس باعتباره أبعد المساجد في ذلك الوقت عن المسجد الحرام في مكة المكرمة.

وأورد العالم الجغرافي المسلم ياقوت الحموي وهومصدر جغرافي تاريخي لدى المسلمين وغيرهم أن فلسطين: "هي آخر كور الشام من ناحية مصر، قصبتها المقدس".

وعـد بـلـفـور

أمام إصرار السلطان عبد الحميد – رحمه الله – على عدم السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين وبعدم السماح ببيع الأراضي الفلسطينية لهم.. سعى الزعماء الصهاينة لدى القوى المسيحية الكبرى في ذلك الوقت لإقرار خطتهم في إقامة وطن قومي لهم بفلسطين.. شعرت بريطانيا بالتهديد الألماني لمصالحها وبنموالوعي القومي لدى العرب الخاضعة بلادهم يومئذ للدولة العثمانية فعقدت مؤتمراً في لندن باشراف حزب المحافظين دعت إليه فرنسا وبلجيكا وإيطاليا والبرتغال واسبانيا وهولندا وجمعت فيه المؤرخين وعلماء السياسة والاجتماع وخرج المؤتمر (بوثيقة كامبل) نسبة إلى السير هنري كامبل بانرمان..

(Sir H. Compbell Bannerman)

رئيس الوزراء البريطاني يومئذ تؤكد أن الخطر على دول الغرب المسيحي هوالوعي القومي المتنامي في المناطق العربية الخاضعة للدولة العثمانية سيما وأن العرب يوحدهم اللسان والتاريخ والأرض والهدف ولمقاومة هذا الخطر أوصى المؤتمر بالآتي:

وعد بلفور من بريطانيا لا حباً في اليهود لكن لخدمة مصالح انجلترا

- **تفكيك هذه المناطق إلى دويلات**
- **وحرمانها من الدعم العلمي والتقني**
- **إنشاء منطقة عازلة (Bufferzone) تفصل الجزء الأفريقي العربي عن الجزء الأسيوي.**

استجابت بريطانيا لذلك؛ وقام اليهود بتقديم التسهيلات والقروض المالية لبريطانيا التي شارفت على الإفلاس في الحرب العالمية الأولى من خلال (أسرة روتشيلد) وتجنيد عشرات الآلاف من لمقاتلين اليهود الشباب في صفوف الجيش البريطاني أثناء الحرب الكونية الأولى باسم الفيلق اليهودي؛ وتدريب (6500 مجند) في مصر وانجلترا ووجههم للعمل مع الجيش البريطاني في فلسطين وما أن وضعت الحرب اوزارها حتى أصدرت بريطانيا وعدها المشؤوم ضمن رسالة بتاريخ 2 نوفمبر 1917م وجهها وزير الخارجية البريطاني آنذاك آرثر جيمس بلفور وجاء فيها: إن حكومة بريطانيا "تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وأنها ستبذل ما في وسعها لتيسير تحقيق هذا الهدف" (4). وأصبحت هذه الرسالة ومضمونها تعرف في الأدبيات السياسية بوعد بلفور

وهكذا (فإن من لا يملك) وهو انجلترا في شخص الاستعماري بلفور أعطى فلسطين (لمن لا يستحق) وهم اليهود. لقد صدر هذا الوعد من بريطانيا لا حباً في اليهود ولا شفقة عليهم ولكن لخدمة مصالح انجلترا. وبلفور.. Arthur James Ba - four) (1848- 1930م) مسيحي ولد بإسكوتلندا وكان معادياً لليهود وعارض هجرتهم إلى فلسطين ولكنها المصالح التي قام وايزمان Chaim Weizman) (1874-1952م بضمانها عندما صرح بأنه "إن وافقت انجلترا على منحنا فلسطين فإنها ستحصل على سند فعال، وسنحصل نحن على وطن" (5) ووايزمان يهودي ولد في قرية موتال في روسيا البيضاء التي كانت جزءاً من الامبراطورية الروسية وأصبح أول رئيس لدولة اسرائيل عام 1949م.

وهكذا فإن وعد بلفور يمثل منعطفاً مفصلياً على طريق ابتزاز فلسطين فهو ترخيص للحركة الصهيونية لاستعمار فلسطين.. وهذا الاستعمار الصهيوني هو استعمار من نوع جديد في التاريخ وهذا ما أكده لنا أحد أساتذة جامعة تل أبيب عام 1974م عندما جاء إلى جامعة شمالي كالواردو بأمريكا محاضراً عن الموقف في الشرق الأوسط بعد حرب اكتوبر 1973م (أوما نسميه حرب رمضان). لقد قال رداً على سؤال طالب عربي: "إن الأجدى أن يجلس العرب والفلسطينيون للتفاوض مع الاسرائيلين، ولا تنسوا أننا لسنا مثل البيض في جنوب أفريقيا، ولا مثل الأشكال الاستعمارية الأخرى، لقد جئنا إلى فلسطين لنبقى.. ولن نرحل.. نحن لسنا كغيرنا.. لقد أتينا بعائلاتنا لنبقى" وهو بهذا يؤكد أن الاستعمار الصهيوني هو استعمار استيطاني لا يقبل الرحيل.

السلطان عبد الحميد

وكما في تلك الأمسية فإنني شخصياً ما زلت على يقين بأن "اسرائيل" دولة محتلة غاصبة لأرض فلسطين وشردت أهلها وما تزال.

المقاومة

لقد أصبح مألوفاً عند العرب أن كلمة (المقاومة) تعني الشعب الفلسطيني بينما كلمة (الاحتلال) تعني الصهاينة ودولتهم اسرائيل. وإذا كان المحتلون بدأوا مخططاتهم الاستيطانية في فلسطين في أخريات القرن التاسع عشر الميلادي فإن الفلسطينيين تنبهوا لها وبدأوا مقاومتهم قبل ذلك بعقود. ومع تقدم الزمان ومنذ أكثر من مائة وثلاثين سنة تقريباً أصبحت القضية الفلسطينية هي القضية المركزية ليس للشعب الفلسطيني وحده وإنما للأمة العربية على امتداد الوطن العربي الكبير.

بدأ اليهود هجرتهم إلى فلسطين أفراداً، وعائلات، ومجموعات بحجة الهروب من الاضطهاد والظلم الذي يلقونه في اوروبا. وبدأت دول الغرب مثل انجلترا وألمانيا وفرنسا تؤيدهم في ذلك رغبةً في السيطرة على الجزء العربي (فلسطين) الذي يربط

بين آسيا وأفريقيا، وكذلك لتفتيت الأرض العربية الكبرى الممتدة من (عدن) جنوباً على شاطئ البحر العربي إلى مدينة نواكشوط (نوق الشط) في أقصى الشمال الأفريقي العربي. وما تزال المقاومة مستمرة.. كما هوالاحتلال ما زال قائماً.

قاوم العرب وخاصةً الفلسطينيون نتائج مؤتمر بازل الذي عقد عام 1897م بقيادة الزعيم الفلسطيني الحاج أمين الحسيني يؤازره في ذلك المناضل السوري عز الدين القسام ولكن التأييد الغربي الأوروبي لاسرائيل كان أكثر حضوراً وأقوى فاعلية

- شارك العرب في أحداث الحرب العالمية الأولى ضد تركيا (دولة الخلافة) على وعد من الغربيين بإقامة دولة عربية مستقلة موحّدة وفي قلبها فلسطين. ولكن الغربيين نقضوا عهودهم من خلال اتفاقية (سايكس – بيكو) المعقودة سلفاً في عام 1916م والتي قسمت البلاد العربية بين انجلترا وفرنسا ووضعت (فلسطين) تحت الانتداب البريطاني مما أتاح الفرصة لانجلترا بمساعدة اليهود بتكثيف هجرتهم إلى فلسطين ومدِّهم بالسلاح والمال.

- شارك اليهود مع بريطانيا في الحرب العالمية الأولى – كما أسلفنا – من خلال (الفيلق اليهودي) وقدموا لها مساعدات مالية انقذتها من الإفلاس ومن الهزيمة.

استعداد اليهود للهجرة إلى فلسطين من أحد الموانى الأوروبية

- بنهاية الحرب العالمية الأولى عبَّرت بريطانيا عن امتنانها لليهود بإعلان التعاطف معهم لإقامة وطن قومي في فلسطين فيما عرف بوعد بلفور.

ثار الفلسطينيون ضد وعد بلفور وقاوموا البريطانيين المستعمرين الغادرين واليهود المغتصبين في وقت واحد

- بدأ المستوطنون اليهود ينظمون دفاعاتهم العسكرية في مستوطناتهم، التي أقاموها قهراً وخداعاً على أرض فلسطين ونظموا ميليشيات مهمتها الأساس تخويف وترهيب السكان العرب وتشريدهم من مزارعهم ومساكنهم وقتلهم دون تمييز؛ وأبرز هذه الميليشيات الصهيونية الهاجاناه والأرجون والشتيرن وأمدتهم بريطانيا بالتدريب والسلاح.

استمرت مقاومة العرب لهذا الخطر المزدوج الداهم المغتصب لبلادهم والقاتل لرجالهم ونسائهم.. إنه خطر الاستيطان الصهيوني وخطر التأييد الغربي الظالم بقيادة بريطانيا

استمرت الثورات على مدى عقدين من الزمان 1917-1936م وجاءت الثورة الأبرز للفلسطينيين والتي دامت ثلاث سنوات 1936-1939م استشهد خلالها كثير من الفلسطينيين

ذهب الصهاينة المغتصبون عام 1948م إلى نيويورك وطالبوا بإقامة دولتهم في فلسطين وأيدتهم الدول الغربية وصدر قرار الأمم المتحدة في 29 نوفمبر 1947م بتقسيم فلسطين الموحدة أصلاً إلى ثلاثة كيانات: دولة عربية وأخرى يهودية وتظل مدينتا القدس وبيت لحم تحت الوصاية الدولية. رفض العرب هذا القرار وقبله الصهاينة.

أعلن وايزمان القادم من روسيا.. قيادم دولة اسرائيل على أرض فلسطين العربية.. واعترفت بها

خطاب الزعيم ياسر عرفات خلال مؤتمر الجمعية العامة عام 1974

الدول الغربية مباشرة..

قاوم الفلسطينيون والعرب هذه الدولة الغاصبة ودارت حروب على جبهات متعددة قتل فيها كثير من الجنود الع رب والمقاومين الفلسطينيين.

تنادى اليهود في الداخل والخارج للمشاركة في الحرب ضد العرب وسموها (حرب الاستقلال) وأعجب لهذه التسمية فهم غزاة مغتصبون!!

احتلت اسرائيل 78 % من أرض فلسطين بينما قرار التقسيم نصَّ على منحها 55 % فقط من هذه الأرض.

أصحاب الأرض إلى شتات:

بدافع الرعب والعنف والإرهاب والقتل هاجر أكثر من سبعمائة وخمسين ألف فلسطيني إلى دول الجوار العربية تحاشياً لنيران الحرب وانتظاراً لعودتهم إلى بيوتهم وقراهم ومدنهم.. فلم تتحقق لهم عودة.. ولم يستطع الفلسطينيون ومعهم العرب أن يغيروا

من نتائج الحرب الظالمة.. بل استمرت هجرة الفلسطينيين واصبحوا ضحايا يعيشون الشتات على أيدي الصهاينة حتى إن خمسة مليون فلسطيني حسب الاحصائيات الدولية في عام 1995م يعيشون خارج وطنهم. وما يزال المغتصبون يمارسون الترهيب والقتل والتشريد ضد أصحاب الأرض حتى الآن.

واقع مؤلم:

ونتيجة لهذه الحرب الظالمة وهذا الاحتلال الغاصب أصبحت المنطقة العربية على الشكل التالي:

- ملايين الفلسطينيين تشردوا (تاهوا) في الأقطار العربية عموماً وخاصةً في الأردن ولبنان وسوريا.

- تمزقت أرض فلسطين فالضفة الغربية والقدس الشرقية تتبع الأردن وغزة تحكمها مصر وباقي البلاد احتلتها اسرائيل

- أدرك العرب إن استقلالهم ناقص.

- بريطانيا في جنوب اليمن وقواعدها العسكرية في مصر والعراق وليبيا

- فرنسا تحتل المغرب العربي وتونس والجزائر وسوريا ولبنان.

- أدرك العرب أيضاً أنهم بعيدون عن مائدة التقدم العلمي العالمي وأن نظم الحياة في مجمل بلادهم لا تلبي طموحات شعوبهم.

- احتلت اسرائيل، فلسطين، قلب الأمة العربية لتقطع التواصل الجغرافي للدول العربية في آسيا وأفريقيا، ولتفرق كلمة العرب.

- حقاً إنه وضع رهيب لا خلاص منه إلا بالتخلص من الاستعمار، ومقاومة الصهيونية ودولتها المغتصبة،

مخيمات اللاجئين عام 1947

والسير نحوالتقدم العلمي. هبتّ الأقطار العربية في وجه الاستعمار ووقفت الأقطار المتحررة أصلاً بجانب شقيقاتها المستعمرة حتى جلت بريطانيا عن مصر مرغمة، وخرجت من جنوب اليمن تحت رصاص الثوار وغادرت العراق، وودعت منطقة الخليج العربي وهي تجر أذيال الخيبة، وفي السياق ذاته رفعت فرنسا يدها عن سوريا ولبنان، واندحرت من المغرب العربي ومن تونس ومن الجزائر.

بدأ مفكروا الأمة يبحثون في وسائل الارتقاء ببلدانهم وشعوبهم، وكان العمل الوطني والقومي في هذا المجال أصعب مراساً وأشد عداوة فالجهل للشعوب أكبر عدو.. وكوارثه تجر إلى الدمار والذل والهوان. ثبت للجميع أن نشر العلم بين الناس هوالسلاح الفعال في وجه التخلف والجهل.. بدأت المدارس تنتشر في البوادي والنجوع والقرى والمدن، وقامت الجامعات في العواصم والمدن الكبرى. ولكن الوضع القومي العربي ما يزال عائماً ومحبطاً وبرغم مرور مائة سنة أوأكثر فإن:

- الأمية ما زالت تخيم في أقطار عربية كثيرة حتى اليوم..
- البحث العلمي في أكثر الجامعات ما يزال مغيباً.
- الترحيب بالنوابغ والمبدعين يسير على استحياء
- مشاريع الإنماء مثل التعليم والماء والكهرباء والبنى التحتية لم تأخذ الاهتمام العملي الكامل في أكثر البلاد العربية.
- التكامل الواجب قيامه بين الأقطار العربية يتعثر ويحوطه الشك وغياب الثقة
- التعاون والاتحاد والوحدة بين العرب بجميع أشكالها أصبحت - مع الأسف - ينظر إليها على أنها تهديد لكياناتهم الصغيرة وحدودهم المصطنعة.

فلسطين والمقاومة:

أما فلسطين وقضيتها فرغم عدالتها وبروزها على الساحة الدولية فقد تأثرت سلباً بما يجري على الساحة العربية الكبرى. تفاوتت الآراء والرؤى بين الفلسطينيين.

أول محاولةً لتوحيد الصف والرؤية كانت إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية في عام 1964م برعاية الدول العربية وقيادة المناضل أحمد الشقيري ولكنها لسنوات راوحت مكانها إلى أن تولى رئاستها الشاب ياسر عرفات وهوغزاوي تخصص في الهندسة المعمارية من جامعة القاهرة.

تكونت منظمات شعبية فلسطينية بهدف مقاومة العدوالصهيوني وتحرير الأرض مثل حركة التحرير الفلسطينية (فتح) والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين واتخذت من الأردن مقراً ومنطلقاً لعمليات التحرير وأخيراً منظمة حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

وهذه المنظمات هي جمعيات أهلية سامية الهدف وهوتحرير فلسطين ولكنها – مع الأسف - تحمل بذور الشقاق والخلاف في جميع مفاصل تشكيلاتها. تفاوتت رؤاها حول أساليب المقاومة والتحرير بل واختلفت فلسفتها حول شكل الشعب الفلسطيني المحرر مستقبلاً ونظام الحكم فيه.

أخذت منظمة التحرير الفلسطينية الطابع الرسمي وأنشأت (ذراعاً عسكرياً) من بعض التشكيلات العسكرية وتم تدريبها في معسكرات بعض الجيوش العربية ولكن هذا (الذراع) لم يفلح أن يكون عضواً حامياً للمنظمة. اكتسبت المنظمة اعترافات رسمية من الجامعة العربية وبعض المنظمات الاقليمية والدولية. وتبنت شعار (فلسطين دولة علمانية واحدة للعرب واليهود والمسيحيين) ورفعت اسم فلسطين

والفلسطينيين إلى أرجاء العالم.

استقبلت الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك عام 1974م الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات (أبوعمار) حيث ألقى خطاباً مؤثراً وخاطب فيه الاسرائيليين قائلاً: "لا تسقطوا غصن الزيتون من يدي" والزيتون كما هومعروف رمز للسلام (وللزيتون) رمزية دينية مقدسة عند المسلمين واليهود. وياسر عرفات (محمد عبد الرؤوف عرفات القدوة الحسيني) ولد بالقاهرة 1929م وتشرّب مبادئ تحرير فلسطين وأسس حركة تحرير فلسطين (فتح) التي شاركت ببسالة في معركة الكرامة (قرية في غور الأردن) عام 1968م مع الجيش الأردني ضد جيش اسرائيل في معركة دامت ست عشرة ساعة خسرت فيها اسرائيل 28 جندياً مقابل 20 جندي أردني و150 عنصراً من عناصر فتح. وكنت طالباً في كلية التربية بمكة المكرمة يومها وأذكر أن هذه المعركة البطولية ردَّت إلينا الثقة في أنفسنا وفي أبنائنا وفي مستقبلنا.

ومع التقدم الملموس لعمليات التحرير (العمليات الفدائية) وإشاعة وهج قضية فلسطين عالمياً إلا أن شباب المقاومة ارتكبوا مخالفات مشهورة على الأرض الأردنية تخلُّ بسيادة الدولة وتتجاهل القوانين المحلية مما دعا حكومة الأردن للمناداة بتخليص الوطن (الأردن) من عناصر المقاومة فشبت معركة سبتمبر (أيلول الأسود) عام 1970م التي فقد فيها الفلسطينيون كثيراً من أبنائهم، وأكثر من هذا فقدوا مساحةً كبيرة من التعاطف والتأييد الشعبي ليس في الأردن وحسب ولكن في جميع الأقطار العربية..

انتهت هذه المعركة المشؤومة بإيقاف نشاط المقاومة في الأردن وترحيل قياداتهم إلى لبنان حيث لم يلقوا ترحيباً في الأصل من أحزاب يمينية لبنانية رأت

فيهم ضيفاً ثقيلاً وشرساً. وتحالف بعض أبناء هذه الأحزاب اللبنانية – مع الأسف – مع اسرائيل التي اجتاحت لبنان عام 1982م ولقيت مقاومة باسلة من الفلسطينيين ومن جيش وأحرار لبنان.. ولكن هذا الاجتياح الغادر انتهى بقتل آلاف الأبرياء من الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا مما اضطر ياسر عرفات وقياداته للرحيل بحراً إلى تونس وتوزيع عناصر المقاومة في أقطار عربية أخرى. (وفي ليلة الرحيل هذه إلى تونس ما كنت مقتنعاً بذلك؛ وتمنيت لويفاجئنا أبوعمار وهويرتدي كوفيته الرمزية لخارطة فلسطين بأن يطمئن على رفاقه بأنهم على ظهر السفينة ويلتفت إلى مودعيه ويؤدي تحته العسكرية المعهودة ويقول: (أما أنا فخذوني إلى فلسطين ويفتح لهم ذراعيه ولن اتحرك من بيروت إلا إلى فلسطين) فيفجر أزمة سياسة دبلوماسية واشتدى أزمة تفرجي، أدَّت هذه الأحداث المروِّعة إلى تنازل المقاومة الفلسطينية عن مبدأ (دولة فلسطينية علمانية واحدة تضم العرب واليهود والمسيحيين) والقبول بمبدأ حل الدولتين واعترفت منظمة التحرير الفلسطينية باسرائيل مقابل اعتراف اسرائيل بالمنظمة عام 1988م. وهذا مكسب دبلوماسي ونصر معنويٌّ كبير فلأول مرة تتداول أوساط السياسة والعسكريتاريا الاسرائيلية عبارتي (فلسطين والفلسطينيون) فهم دائماً يسمون الأرض أرض اسرائيل ويسمون أهلها الفلسطينيين عرباً.

السلطة الوطنية الفلسطينية.. الطريق إلى دولة فلسطين:

عقد مؤتمر مدريد الشهير عام 1991م. تفاوض فيه الفلسطينيون والاسرائيليون وجهاً لوجه لأول مرة. راجت خديعة (الأرض مقابل السلام) وانتهت باتفاقية أوسلوعام 1993م وعلى أساسها قامت السلطة الوطنية الفلسطينية على أرض الضفة الغربية وقطاع غزة بدون القدس – مع الأسف – وجاءت السلطة كياناً هشاً تمسك اسرائيل بكل مفاصل حياة أهل الضفة والقطاع، وحوصر ياسر عرفات في (مبنى المقاطعة) برام الله، وظن الصهاينة أنه سيخرج ولكنه – يرحمه الله – صمد محاصراً عدة سنوات وصنع كلمته الشهيرة: "يريدونني طريداً ولكني سأبقي شهيداً شهيداً" ولم يغادر القطاع إلا مريضاً إلى باريس للعلاج في فرنسا حيث توفي هناك عام 2004م.

وبقيت القضية بعده حيةً يهابها كثيرون وتتآمر عليها مع اسرائيل دول الغرب الظالم وأمريكا. صحيح أن المكاسب لا تطال آمالنا في البلاد العربية ولا تبلغ أهداف الفلسطينيين.. ولكنها أبقت القضية حية حتى إن فلسطين اليوم هي عضومراقب في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

اصرار على المقاومة:

الفلسطينيون الذين بقوا في الأرض المحتلة ولم يتركوا مدنهم وقراهم ومزارعهم فرضت عليهم حكومة اسرائيل قانون طوارئ عسكري حتى عام 1966م ولكنهم يعانون تمييزاً ضدهم في الميزانيات والخدمات ويفرض عليهم تعلُّم اللغة العبرية ودراسة التاريخ اليهودي من وجهة نظر اسرائيلية محتلة وغاصبة.

الضفة الغربية مزقتها اسرائيل الغاشمة ببناء المستوطنات في كل اتجاه، وبالجدار العازل الذي يمزق العائلات الفلسطينية وممتلكاتها. إذا كان جدار برلين بعزل ألمانيا الشرقية عن ألمانيا الغربية فإن الجدار العازل في فلسطين يعزل أبناء الأسرة الفلسطينية الواحدة ناهيك عن عزل القرى والمدن عن بعضها.

– أكثر من خمسة ملايين ونصف مليون فلسطيني يعيشون خارج فلسطين موزعين بين الأردن ولبنان

وسـوريا والعـراق وفـي أنحـاء العالم وترفض اسرائيل عودتهم إلـى بيوتهم وبساتينهم وقراهم ومدنهم حسب قرار الأمم المتحدة رقم 194 الذي يعطيهم حق العودة.

– اسرائيل تقتحم المنازل وتعتقل الشباب وكبار السن والنساء والأطفال وتودعهم في السجون واعتقلت حتى البرلمانيين وزعماء الفصائل والقبائل.

– العمال الفلسطينيون الذين يعملون داخل الأرض المحتلة (اسرائيل) يحبسون على المداخل والمعابر ساعات وأياماً وأسابيع بدون ابداء أسباب وبدون تعويض أواعتذار.

– نقاط التفتيش العسكرية المدججة بالسلاح في كل مكان وعلى كل اتجاه تحبس الناس ساعات وبعضهم أياماً. فكم من مريض قضى نحبه على نقطة تفتيش؛ وكم من أم حامل وضعت جنينها في نقطة تفتيش

– المسجد الأقصى الشريف منعوا الصلاة فيه على الشباب. لا يؤدي صلاة الجمعة فيه إلا من هم فوق سنِّ الأربعين وأحياناً فوق سنّ الخمسين بل إن السلطات تفتـح المسـجد للمتـشددين من اليهود الذين يدنِّسون قدسيته.

وإذا نفذ صبر بعض الفلسطينيين ففي بعض الأحيان جراء هذا التعسف وهذا الظلم على نقاط التفتيش فيتحركون ضد العسكر المدججين بالسلاح.. تحرك الجيش الاسرائيلي كله ليقتل المئات ويدمر آلاف المنازل ويجرح الآلاف انتقاماً. هذا التعنت، وهذا الجبروت، وهذا الطغيان، وهذا الغرور، وهذا الظلم لم يضعف الفلسطينيين بل زادهم تمسكاً بحقوقهم واستبسالاً في مقاومة العدوالظالم الغادر..

وإني مثل جميع العرب ومثل أحرار العالم أقف مع الفلسطينيين أصحاب الحق وأؤمن بأن للباطل ساعة وأن الحقَّ إلى أن تقوم الساعة.

حرب (الدولة) ضد (المقاومة الشعبية):

في عام 2008م تعللت اسرائيل – وشنتْ حرباً على غزة وكامل القطاع دامت سبعة عشر يوماً وتوقف بعدها إطلاق النار.

وفي عامنا هذا قام ثلاثة مستوطنين اسرائيليون يوم 2 يوليو 2014م بخطف الطفل الفلسطيني محمد أبوخضير وهوفي طريقه إلى المسجد في حي شعفاط بالقدس وعذبوه وأحرقوه وهوعلى قيد الحياة وألقوا جثته في أحراش قرية دير ياسين؛ وقيل إن هذه الجريمة رد على قيام فلسطينيين باختطاف ثلاثة مستوطنين اسرائيليين وقتلهم.. امتطت اسرائيل هذه الحادثة وقررت الهجوم على مدينة غزة حيث قيادة منظمة حماس وحددت أهدافها كالآتي:

– ايقاف هجمات الصواريخ المنطلقة من القطاع

– تدمير الأنفاق التي تؤدي إلى مصانع الصواريخ وإلى مقرات القادة في غزة

– القضاء على المقاومة وتدمير بناها التحتية

– اضعاف معنويات الفلسطينيين

وبـدأت المعركة يوم 8 يوليو(تموز) وحشدت اسرائيل قواتها البرية والبحرية والجوية ولكنها لقيت مقاومة شرسة لم تجرب مثلها طوال تاريخها الإرهابي. هب الشعب الفلسطيني كله من داخل القطاع ومن الضفة ومن القدس للدفاع عن غزة. التحمت منظمات المقـاومة مـثـل فتـح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين للقتال مع حماس ضد عدو واحد. وتحددت أهداف المقاومة كالآتي:

– كسر شوكة اسرائيل وهزيمة جيشها

– اطـلاق السجنـاء الفلسطينيـين مـن سجون اسرائيل

لاجئون فلسطينيون يفرون من مناطقهم في فلسطين خلال عام 1948م

- **رفع الحصار عن القطاع**
- **فتح المعابر الاسرائيلية المقامة لمحاصرة غزة**
- **إعادة فتح وتشغيل المطار**
- **إعادة فتح الميناء البحري**
- توسيع مساحة الصيد إلى 12 كم.

استمرت الحرب خمسين يوماً بلياليها وكانت نتائجها كالتالي:

حسب احصائيات الأمم المتحدة استشهد فيها (2137) فلسطيني معظمهم من النساء وكبار السن.

- قتل 69 جندي اسرائيلي وجرح خمسمائة جندي اسرائيلي

- أطلقت المقاومة خمسة آلاف وخمسمائة صاروخ طالت مدناً وقرى ومزارع في أرضنا المحتلة وكذلك مطار بن جوريون

- أطلق الاسرائيليون خمسة وستين ألف صاروخ على قطاع غزة ودمرت آلاف المنازل.

لأن اسرائيل ولأول مرة تفقد عشرات الجنود ونيران المقاومة تطال عاصمتها تل أبيب وتجتاح مطارها الدولي وتمتنع كبريات الشركات العالمية عن هبوط طائراتها في مطار بن جوريون، ويعترف القادة الاسرائيليون بأن اسرائيل لم تحقق أهدافها من الحرب؛ قبلت اسرائيل ولأول مرة في تاريخها العسكري مبادرة اطلاق النار التي اطلقها المصريون من أول ساعات إطلاقها. ويقول ناتانياهو: (قررنا عدم الغرق في غزة) وتضمنت المبادرة ما يلي:

رفع الحصار عن قطاع غزة

- **فتح المعابر للأغراض الإنسانية أيضاً لمستلزمات إعادة إعمار غزة**
- **توسيع مجال الصيد البحري إلى 12 كيلاً.**

- جلوس اسرائيل لتفاوض غير مباشر مع ممثلي كافة فصائل المقاومة الفلسطينية بما فيهم حماس.

وهكذا تأتي المكاسب على الجانب الفلسطيني وأهمها تحقيق وحدة منظمات المقاومة الفلسطينية في وجه الاحتلال؛ وأن الشعور بواجب المقاومة تضاعف لدى جميع الفلسطينيين وأن العدولم يحقق ولا هدفاً من أهدافه التي أعلنها.

وماذا بعد؟

إن الموقف يقضي بأن تكون القضية الفلسطينية هم كل زعيم فلسطيني وهم كل منظمة مقاومة فلسطينية.

ويتطلب الموقف توحيد الصف وتوحيد الكلمة.

لقد سئم الجميع وسئمنا من استمرار الانقسام الفلسطيني. نريد صفاً واحداً يقف إلى جانب رئيس السلطة الفلسطينية.

يقتضي الموقف أن نحترم دماء الشهداء الفلسطينيين والعرب الذين قضوا على خط المقاومة منذ أكثر من مائة سنة.

وأن نحترم هذا الشعب الفلسطيني الذي ابتدع (ثورة الحجارة) وقاوم الاحتلال، ودحر اسرائيل بترسانتها العسكرية في عام 2008م وعام 2014م.

إننا بحاجة إلى أن نتوسم ونقتدي ونهتدي بإصرار الشعب الفلسطيني على المقاومة وعلى الحياة.

أبناء وبنات فلسطين هم الأكثر تعليماً بين الشعوب العربية.

جامعة النجاح وجامعة بئر زيت وجامعة غزة الإسلامية رموزٌ علمية تدعوإلى الحياة.

أثناء المعركة الأخيرة انطلق علماء فلسطينيون يخططون لافتتاح جامعة فلسطينية جديدة تهتم بالتقنيات المتقدمة والانجازات العلمية.

فتاة غزاوية تفتح موقعاً على الشبكة العنكبوتية باللغة الإنجليزية يستحوذ على مئات آلاف المشاهدين لشرح قضيتها للعالم الآخر (غير العربي).

مجموعة شباب فنانين ينتجون عملاً غنائياً بعنوان: "دعونا نعلم الناس حب الحياة".

إننا نطالب بابتكار مواقف أصيلة همها الإنسان في كل بيت فلسطيني وفي كل مكان على الأرض من أجل التعاون على الحق والخير والعدل والجمال.

المراجع والهوامش

- الموسوعة الفلسطينية، الجزء الثاني، ص 4
- نفس المصدر، ص5
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا ar.wikipedia.org/wiki
- موقع جوجل
- الموسوعة الفلسطينية، الجزء السادس ص 278
- نفس المصدر، ص 279

قراءة تأملية في واقع الربيع العربي

د. عدنان نورالدين بسيسو

بادئ ذي بدء لابد من توصيف وتحديد مفهوم الربيع العربي الذي استخدم لتوصيف الأحداث التي مر بها العالم العربي منذ عام ٢٠١١م. تلك الأحداث التي كانت بمثابة الزلزال السياسي والاجتماعي الذي هز أعماق وجذور المكونات العربية على كافة الأصعدة والميادين.

فليس صحيحا توصيف تلك الأحداث بالربيع العربي إذ لا تحمل من صفات الربيع أي من سماته "فلا ازدهرت مجازا النباتات والأشجار كما يقضي تعريف الربيع كظاهرة فصلية نباتية ولا اخضرّت الأشجار وعادت الطبيعة تتسم بالحياة والاخضرار. على العكس، انتابها جفاف وظلت الأشجار عارية إلا من عروقها منظرها مفجع لا يوحي بأية حياة بل على العكس أوحي بالقفر واليباب. بالإمكان القول أن استخدام توصيف الربيع جانب الحقيقة وابتعد عنها وهوتوصيف أقل ما يقال فيه أنه كان خطأ فادحا وتسميته غير موفقة لا تعكس واقع الحال.

كذلك شاع خطأ أن التحولات والأحداث التي أخذت صفة الربيع يمكن تسميتها ثورة وهذا بحد ذاته أبعد ما يكون عن حقيقة ما جرى. فقد تعلمنا من التاريخ الاقتصادي وفلسفته المعاصرة أن للثورة اشتراطات لابد من توفرها حتى يمكن تسمية ما حدث بالثورة. من أهم الاشتراطات التي يجب أن تتوفر في الثورة خضوعها لإطار فكر ثوري يهدف إلى التغيير والتحول في شتى مجالات الحياة سواء السياسية أوالاجتماعية أوالثقافية، وللأسف لم يتوفر للأحداث التي شهدها العالم العربي مؤخرا أي فكر موحد استراتيجي لما يجب عمله. كذلك لا يمكن أن تقوم ثورة بالمعنى المنوه عنه هنا دون وجود استراتيجية شاملة ذات برنامج مرحلي لما يُهدف تحقيقه. وكذلك لابد من وجود آلية واعية تعمل على تحقيق الثورة سواء عن طريق الأحزاب أوالتكتلات التي تنضوي تحت لواء فكر ومنهج واضح لا لبس فيه ويعكس واقع الحال الذي يسعى إلى تغييره، كذلك لابد من وجود نخبة تقوم بتوعية الجماهير وتجعلها تتحسس مظالمها وأوجاعها وتشعر بها شعورا فطريا يتفق مع مطالبها في التحول والتغيير.

كما كان واضحا طوال حدوث الاضطرابات عدم وجود قيادة واحدة تقوم بالتحكم وإدارة التحولات وفق البرنامج المرسوم مسبقاً.

وبهذا يمكن أن نخلص إلى القول أن ما حدث في عالمنا العربي لا يمكن وصفه لا بالربيع ولا بالثورة، إذن ماذا يمكن أن نسميه؟ هل هوانتفاضة، أوتحول، أواضطراب، أوماذا؟ لابد من الاعتراف عن عجزنا وإخفاقنا بإعطاء التسمية المناسبة والملائمة لما حدث لأن ما حدث كان خليطا من عوامل لا يمكن تحليلها علميا أومنطقيا ذلك أن القوى التي أدارتها تخبطت وتشرذمت وانزوت وأتت قوى أخرى لم تبشر بالتغيير ولا بالتحول وما حدث في مصر أكبر دليل على ما نقول مما أدى إلى محاولات تصحيحية كما حدث عن طريق القوى التي من شأنها حفظ الأمن والاستقرار ونعني بذلك المؤسسة العسكرية.

الحراك الشعبي الأدق والأصح تسميته بضحايا الربيع العربي

الأسباب الواضحة لما حدث في العالم العربي منذ حوالي ثلاثة أعوام – وسماه البعض ربيعاً والبعض الآخر سماه ثورة – يمكن أن تعزى إلى غياب الديموقراطية الحقة التي تقوم على المواطنة الصحيحة لا على الولاء للأنظمة التي كان جلها استبداديا قهريا مليئاً بالولاءات العمياء سواء للأنظمة أوالأحزاب التقليدية التي استهلكت أيديلوجيتها أوالأسر الحاكمة أوالقبيلة وغير ذلك من التكتلات السياسية.

أدت هذه الأوضاع الشاذة إلى استياء شعبي عارم ومظاهرات استنكارية واعتصامات في بلدان عربية هي تونس وليبيا ومصر وسوريا واليمن. أما العراق فإن الفوضى ارست لها جذوراً عميقة في أرضه منذ عام 2003م. وهذه بالتالي أدت إلى ما عرف لاحقا بالربيع العربي وإلى ما آلت إليه التحولات السياسية في معظم الدول العربية.

ضحايا الربيع العربي:

الحديث عن الربيع العربي طويل ولا يمكن اختصاره في مقال واحد بل يحتاج إلى مجلدات وإلى مراكز أبحاث متخصصة تقوم بتحليله وتفكيكه علميا لكي تعلم الأجيال الصاعدة شيئا أمينا وصادقا عن تاريخها الاقتصادي الحديث. وهذا ما يخرج بنا عن سياق ومساحة هذا المقال.

على ضوء هذه المحددات يصبح من الأجدى والأنسب أن نركز على النتائج السلبية الكارثية التي تمخض عنها الحراك الشعبي المسمى الربيع العربي والذي يمكن اختصاره في ما يمكن تسميته لا بالنتائج السلبية بل الأدق والأصح تسميته؛ بضحايا الربيع العربي وآثاره المأساوية على النضال العربي الحق الذي تطلعت إليه الأجيال الواعدة الشابة والذي كافحت من أجله لتثبيت أسس ديمقراطية ومساواة وعدالة اجتماعية لعقود عديدة مضت.

أولى هذه الضحايا هي الدولة بالمفهوم الشامل الواسع والتي هي عبارة عن عقد اجتماعي كما ذكر الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسوقبل قرون خلت بين الحاكم والمحكومين. وباستعراض موجز لما حدث في البلدان العربية التي طالها هذا الحراك فقد تلاشى مفهوم الدولة أوأصبحت دولة فاشلة لا تفرض سيادتها على أرضها وتركت الباب واسعا أمام مجموعات مسلحة استغلت مساحات واسعة من الأرض تمارس فيها سلطات الدولة بالكامل من جباية للإيرادات وفرضت الضرائب كما فرضت معايير سياسية وأخلاقية ودينية على المواطنين الذين شعروا بفراغ كبير وغياب للدولة أقل ما يقال فيه أنهم فقدوا الأمن والاستقرار وأصبحوا إما خاضعين للقوى الجديدة خائفين صاغرين أونزحوا إلى بلاد أخرى بأمل الحصول على الأمن والطمأنينة على حياتهم وحياة أسرهم. لا حاجة إلى التدليل عن ذلك وأمامنا ليبيا وسوريا والعراق وإلى حد ما اليمن والأمل أن لا تنفرط السبحة لدول عربية أخرى قد تواجه هذا المصير وهي تكاد تكون مرشحة.

الإقتصاد الوطني بكافة أبعاده هو الضحية الثانية في الربيع العربي

الاستثناء الوحيد من هذا المصير الرهيب للدول كان من يمن الطالع لبلدين عربيين هما تونس التي تمكنت من الاحتفاظ بدولتها بفضل عقلانية ومرونة حزب النهضة الإسلامي الذي غلّب مصلحة الوطن على مصلحته الحزبية الضيقة وتخلى طائعا مختارا عن السلطة وشارك القوى الوطنية الليبرالية المدنية في صياغة دستور وتوافق وطني شامل وحكومة وحدة وطنية، هذا ويجب أن لا ننسى الدور الفعال الذي

تركته المدرسة البورقيبية على النسيج الاجتماعي والأخلاقي على كافة شرائح المجتمع التونسي في مجال الاجتماع والسياسة والانفتاح وحقوق الإنسان. أما البلد الثاني الذي تمكن من تخليص دولته من الانهيار والتدهور فهومصر. ويعود الفضل في ذلك إلى تماسك ووطنية المؤسسة العسكرية الممثلة في الجيش المصري الذي هوبدون أي شك مؤسسة محترفة لا علاقة لها بالحزبية أوالعقيدة كشأن الجيوش العربية الأخرى. كما أنها لا تمثل أي مراكز قوى وليست تابعة لطبقة اجتماعية أوجهوية بل هي ممثلة، بحكم قانون التجنيد الإجباري، لكافة قوى المجتمع على امتداد مصر الجغرافي والسكاني. صحيح أن رؤساء الجمهورية بعد ثورة يوليوقد أتوا من الجيش ولكنه كان حارسا أمينا للنظام السياسي وللدفاع عن مصر وحدودها. وأكبر دليل على ما نقول هوموقف الجيش من الانحرافات التي كادت أن تؤدي بالدولة عند تقلد جماعة الإخوان المسلمين مقاليد الحكم في مصر لمدة عام واحد كان كافيا لإقناع شعب مصر أن نظامه سيقوده إلى الفوضى وإلى انهيار الدولة وللإنصاف القول إن تدخل الجيش المصري كان بتفويض شعبي عارم عندما خرجت الجماهير بعشرات الملايين إلى الشوارع في 30 يونيو2013م طالبة تدخل الجيش وتفويضه بتصحيح الأوضاع وهوما فعله الجيش المصري نزولا على رغبة الشعب.

يأخذنا هذا التحليل إلى الضحية الثانية للربيع العربي وهي الاقتصاد الوطني بكافة أبعاده وقطاعاته الذي شهد انحدارا سريعا وتهاويا فاجعا في كافة النشاطات الاقتصادية مما أخر التنمية الاقتصادية هذا إذا لم نقل أنه عطلها وأدى إلى انخفاض نسبة النموفي الناتج المحلي الإجمالي. كما أنه زاد نسبة البطالة إلى قياسات فلكية هذا ولم نقل شيئا عن نزوح وهجرة الملايين من المواطنين داخل أوخارج الوطن هربا من الموت وحفاظا على أعراض نسائهم أمام الهجمات ذات الطابع الديني المتطرف. وقد قامت بعض الحركات المعارضة الدينية بالاستيلاء على موارد الدولة الطبيعية وأصبحت تديرها لحسابها كي تنفق من خلاله على أعمالها الإرهابية وإدارة المناطق المستولى عليها. يضاف إلى ذلك أنها فرضت بالقسر والقهر مناهج سلوكية خاصة بها على تلك المناطق مما جعلها في عزلة عن المناطق الأخرى التي تشكل ساحة صراع بين قوى معارضة أخرى والأنظمة التي تحاربها.

على ضوء هذا الواقع لا يمكن القول أن هناك اقتصادا في الدول التي طالها الربيع العربي وأنها أصبحت جميعها بحاجة إلى الدعم المالي الخارجي الإقليمي والدولي كما أنها تستجدي العون من المنظمات العالمية لإطعام وإسكان ملايين النازحين أوالمهاجرين. والمؤلم المفجع أنه ليست هناك تقديرات علمية يمكن الاعتماد عليها عن الأضرار التي لحقت باقتصادات البلاد العربية التي طالها الربيع العربي وبالإمكان تصور كم تحتاج تلك البلاد لإصلاح ما دُمِّر في البنية الأساسية وكم تحتاج لإعادة بناء اقتصاداتها. والأهم كم من الوقت ستحتاج تلك البلدان لإعادة اقتصادها إلى ما كان عليه قبل الربيع العربي. مجرد التفكير في ذلك قد يؤدي إلى اليأس والإحباط ويدفع الإنسان إلى التساؤل عن جدوى ما حدث ولماذا لم يكن مخططا له وأنه انتهى بفاجعة وكارثة لا يعلم إلا الله مداها وتفاعلها على مصير المستقبل العربي الذي هوالآخر بحكم عدم التخطيط والتخلف أصبح في مهب الريح ويبدوحالكا.

يأتي الآن دور الضحية الثالثة وهي ذات طابع إنساني وقومي عميق الجذور في التاريخ والتراث العربي والإسلامي نعني بذلك ما اصطلح على تسميته الأقليات التي تعيش في الوطن العربي منذ فجر التاريخ وهم، أي الأقليات، من سكان البلاد الأصليين. لا حاجة إلى التدليل على أن البلاد العربية كانت وما زالت تضم أعراقا متباينة وقوميات متعددة وأديان مختلفة علاوة على الأديان السماوية الثلاثة التي شرف الله بها أرض العرب وجعلها مهد ومهبط وحي هذه الأديان السماوية وهي اليهودية والمسيحية والإسلام. فقد عانت هذه الأقليات الظلم الفادح والتشريد والقتل والذبح مما أجبرها على النزوح من بيوتها وأن تهيم على وجوهها في أرض العرب الواسعة طلبا للأمن وتجنبا للذبح أوالسبي أواعتناق الدين الإسلامي بصورة إكراهية غير اختيارية. ما زالت مآسي العراق وسوريا التي تضم هذ الأقليات عالقة في الأذهان وتسبب العديد من الألم والحزن لما آلت إليه أحوال هذين البلدين والمحاولات الخبيثة لإفراغهما من الأقليات التي عاشت بها قبل الفتح الإسلامي بآلاف السنين. ويكاد يعجز الباحث المنصف من وصف ما حدث وهول الفاجعة التي أصابت مكوناً هاماً من مكونات الأمة العربية، فهؤلاء البشر هم عرب بكل ما تعنيه هذه الكلمة بصرف النظر عن الجنس أوالعرق أوالدين أوالمذهب ولهم مساهماتهم في الثقافة العربية والإسلامية والدعوات القومية وبذل أرواحهم دفاعا عن شرف الأمة العربية وكرامتها واستقلالها وسيادتها. ومن أكبر الكبائر الإجحاف معاملتهم بهذه الطريقة ومعاناتهم التي بكل أسف نعتبرها وصمة عار في جبين الذين قاموا بتنفيذها متذرعين بأيديولويجة غاية في التطرف لم يعرفها التاريخ الإسلامي على امتداد العصور وبأعمال عسكرية بعيدة عن أخلاقيات الحرب وحقوق الإنسان لا يقرها جمهور المسلمين ولا النخبة من علمائهم الأشراف والمعتدلين. ذلك كله أحرج المسلمين، أهل التسامح والرحمة، أمام الراي العام العالمي.

مصطلح الأقليات في جوهره مفهوم سياسي ورثناه عن التاريخ الأوروبي

ولا نعتقد أن بوسعنا تغيير هذه الصورة القاتمة من رؤيته في المدى القصير المنظور. ولا حاجة مطلقا للدخول في تفاصيل ما حدث للأقليات في بعض بلدان الربيع العربي فهي قد تمت تغطيتها بالصوت والصورة بصورة مكثفة في الأجهزة والقنوات الفضائية والإعلامية مما يدعوالمواطن العربي الشريف إلى الألم والحسرة بصورة لم يسبق لها مثيل.

لابد من التنويه أن لنا تحفظات عديدة على استعمال مصطلح الأقليات فهو في جوهره مفهوم سياسي ورثناه عن التاريخ الأوروبي الحديث حينما بدأت أوروبا بممارسة عمليتها الديمقراطية وإنشاء

مؤسسات دستورية منتخبة كمجلس النواب وإنشاء الأحزاب السياسية ويعني بكل وضوح تسلم مقاليد السلطة للحزب الذي يفوز بأكثرية المقاعد بعد المرور بعملية انتخابية عن طريق صناديق الاقتراع. ويحضرنا هنا أن قداسة البابا شنوده الثالث بابا الأقباط في مصر اعترض بشدة أثناء إجرائه لقاءاً تلفزيونيا مع أحد الإعلاميين على إطلاقه مصطلح الأقلية على أقباط مصر وقال له: " نحن لسنا أقلية نحن جزء لا يتجزأ من الشعب المصري، فأرجوأن تأخذ هذا بعين الاعتبار ". وقد كان ولم يرد ذكر لكلمة أقلية في ذلك اللقاء. رحم الله هذا الإنسان الكبير الذي كان مثالا في الإنسانية والوطنية.

لم يكن هذا الحراك الذي اتخذ لنفسه مسمى الربيع العربي هوالمرحلة السلبية الوحيدة التي شهدتها بلداننا العربية فإن هناك مجالات أخرى لا يتسع المقام إلى تناولها وهي تعتبر متممة لهذا الحراك يجب أن لا تترك دون تشخيص أومعالجة وهوأمر نتركه للباحثين الموضوعيين العرب وهم كثرة والحمد لله.

ويجب التنويه إلى أن هذه الصورة القاتمة التي رسمها الربيع العربي في تاريخنا ليست نهاية المطاف كما وأنها ليست عصية على الحل والتصحيح في المسار والرؤية، فإن في أمتنا مخزونا تاريخيا وتراثيا وثقافيا بوسعه التصدي لهذا الخلل وإعادة هيكلته ليصبح حراكاً فاعلاً سوياً يُقيل أمتنا من عثرتها كما حدث لنا على امتداد تاريخنا الطويل والذي تجاوزته بنجاح وبقيت أمة حيّة فاعلة تلعب دورها في التاريخ الإنساني على مر العصور.

ولا يتسنى ذلك، في تقديرنا، إلا بإعادة دراسة أسباب تعثر هذا الحراك والوقوف القومي الموضوعي على مسبباته ومعالجتها معالجة مهنية ممنهجة ولا يتم ذلك إلا بتوحيد كافة القوى الوطنية الواعية والمعتدلة ورسم استراتيجية واضحة يكون هدفها واحداً ووحيداً هورص الصفوف العربية الساعية بجد ومثابرة إلى وحدة الهدف والتخلص من الأنظمة التسلطية والحزبية والسعي الحثيث نحوتكامل اقتصادي مرحلي على مستوى كافة البلدان العربية. ويعتبر ذلك أولى الخطوات التي تأخذنا على الطريق السليم نحوالديمقراطية والمساواة والعدالة وهوما طالبت به أصلاً الأجيال الصاعدة العربية عند بداية الحراك الشعبي الذي اكتسح معظم بلداننا العربية وعُرف خطأً بالربيع العربي.

تُرى هل نحلم؟ نأمل اننا نشير إلى منارات الطريق الصحيح..

أفارقة نحن وعلاقتنا ببقية العالم تتولى الكلام..

أ.د. عبد السلام فزازي

سؤال كان ولا يزال يؤرقني وأنا أتعمق في التراث الأفريقي ثقافة، وفكرا، وإبداعا، وسياسة؛ علما أن العالم كل العالم كان ينتظر منا وعيا للدور الحاسم الذي كان على أفريقيا أن تلعبه في سبيل تطور البشرية، خصوصا ما يتعلق بمصيرها أولا وأخيرا..

العبقرية الأفريقية :

من المؤكد أن أفريقيا أبانت منذ قرون عديدة عن عبقريتها في مسلسل التنظيم الذي يعتبر قوام التقدم والانفتاح على بقية العالم، حيث أوجدت وبلا شك، بل أقول حكمت على نحو رائع عددا كبيرا من المجتمعات والممالك والإمبراطوريات، إلا أنها في آخر المطاف وبضربة لازب سقطت وخضعت لحكم أقوام وطوائف أخرى. ولعل الوقوف عند تفاصيل فظائع العبودية الطويلة التي عاشتها تحتم علينا عدم الخوض فيها ما دام الأمر كان أمرا مقضيا.. وحسبي أن استشهد في هذا الإطار بعبارة تاريخية تحمل أكثر من دلالة ولوأنها وجيزة إلا أنها دالة، حيث باح « نهرو» رئيس وزراء الهند السابق قائلا: « لا أظن أن هناك ما هوأفظع، وما هوأبشع وأشنع، من مأساة أفريقيا اللانهائية في خلال القرون القليلة الماضية... سواءً كانت أفريقيا عرقية أم سياسية، فإن هذه المأساة قائمة، وجدير بآسيا أن تعين أفريقيا ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، لأننا قارتان شقيقتان».

ولعل المتتبع للشأن الأفريقي عبر مسارها التاريخي والى حد الآن يقف عند نتيجة هذه المأساة التي نجم عنها كسوف طويل للشخصية الأفريقية، والسقوط بالأفريقي إلى منزلة الإنسان الذي بات كما يقال (ارخص من حتى) كما يقال؛ وما نراه من تفكك وتشرذم يجعلنا في حيرة من شعوب أفريقيا وما فعلت بها أنظمتها المستبدة بشكل غير مسبوق قياسا إلى باقي الأمم والقارات الأخرى؛ ومع الأسف الشديد لم تتعلم مما عاشته وإلا لكانت قارة جديرة بالاحترام لأنها تعلمت دروسا جديدة في مدرسة الحياة، إلى حد أنها كانت ستكتشف شخصيتها العميقة، ومن ثم حاولت أن تعيد ترميمها بل صياغتها قصد مواجهة متطلباتها، كما كان من المفروض أن تتعلم من خلال تجربتها الأليمة معنى مسايرة باقي شعوب العالم التي مرت بنفس التجارب، إن لم اقل أكثرها حدة وقسوة.. ومن الأكيد أنها في خضم ما يعيشه العالم من تقلبات على جميع المستويات، أدركت بعد إعادة قراءة ما مضى، أن السبب في وقوعها في لحظة من تاريخها، ضحية لتقنية بارعة مختصة في تدمير حياة البشر وهذا يتجلى في مرحلتها الأولى من تطورها الذي بقي منعزلا عن تطور باقي العالم، طبعا لم يكن يخطر لها على بال إطلاقا أن ثمة داعيا لتنمية فن القتل والتقتيل المجانيين، بل وصولا إلى حد التدمير الشامل حتى ولوقيل أن كل هذا كان من اجل ضمان النفس وأمانها.

البعد الحضاري للتنمية المغربية:

وإذا ما حاولنا تتبع الأجيال المتعاقبة من الأفريقيين وتأملنا في طبيعة وأوجه مأساة أفريقيا التي لا تنقطع، سندرك لا محالة أن العبودية بشكلها العام تعتبر شر العبوديات كلها، حيث شكلها هذا أدَّى ويؤدي إلى خنق شخصية الإنسان الأفريقي؛ وتلافيا لكل هذه المثبطات التي عاشتها قارتنا السمراء، حاول المغرب أن يعطي للمغرب عامة وساكنة صحرائه بعدا حضاريا متفردا تجعله قدوة في أفريقيا ذاتها وإشارة واضحة للعالم، سيما وقد اقر المغرب منح جهاته متنفسا استثنائيا، حيث تبنى فلسفة الجهوية الموسعة الدالة على البعد الحضاري لتقوم كل جهة بتدبير شأنها العام، دون الانسلاخ عن باقي الجهات التي عبرها ومن خلالها يمكن أن يتم التفاعل الايجابي بين الجهات المكونة للوحدة المغربية السباقة لنوع من الانفتاح على باقي العالم المتحضر.

ويجب علينا ونحن نتقصى جوانية قارتنا الأفريقية أن نعترف أنه رغم محاولات الشخصية الأفريقية – بطرق شتى – منذ ذلك الحين إلى الآن أن تخلص نفسها من فوضى العصبية العرقية التي وقعت فيها فإنها مازالت لم تبرحها البتة؛ بينما استطاع المغرب وباقي الدول العربية الأفريقية تلافي هذه المعضلة التي عششت في جل أقطار أفريقيا.. إضافة إلى أن التجربة الإنسانية رغم هذا وذاك لا تنتهي، والحال أننا أصبحنا نراها موجهة بغير ما انحراف نحوتحقيق أفضل إمكانات أفريقيا، وهي متوفرة بلا شك، فقط

يجب استيعابها حتى يمكن تصحيح مسارها الحياتي، والحال أننا نؤمن أن الأمم جميعها لديها ما لدى غيرها من الطاقات البشرية والطبيعية من اجل تنمية مواهبها، ومكتسباتها، وقدراتها، فقط تحتاج أن تستحضر وتحضر الظروف الملائمة لتحويل كل الطاقات التي تملكها، وهي طاقات بكر إلى حقائق على ارض الواقع، وربما هذا ما جعل الأطماع إن لم نقل الأحقاد تتواتر على مغربنا على سبيل المثال لا الحصر، لأنه استطاع أن يحقق توازنات قطبية في ربوع الوطن بدءا من صحرائه وصولا إلى شماله بل جهاته المكونة لهذا المغرب الذي يعتبر بوابة تطل على قارات وضفاف..

الإنسان الأفريقي الجديد:

يبقى الأفريقي معروفاً بوعيه الثاقب، ويعلم جيدا أن باقي شعوب العالم لم تصنعه من فراغ بل صنعت من نفس المادة نفسها التي صنع منها هو؛ كما يعلم أن هذه المادة جميعها تتمتع بنفس الطبيعة البشرية، والحال أن الطبيعة البشرية أينما حلت وارتحلت تبقى تتحكم فيها سنن التطور ذاتها. وهنا بالضبط، نقصد بالتطور هوتنمية مبدأ داخلي، كامن في جوانيتنا، فقط مع مرور الزمن يأخذ بالبروز تدريجيا إلى أن يتجلى واضحا وقائما، شانه شان حبة القمح قد جعلتها الطبيعية تعيش حتمية النمورغم صغرها، والبشر نفسه يملك هذه الإمكانيات الهائلة لتحقيق الذات. وهكذا، نلاحظ أن أهم وأروع ما تتسم به الشخصية الأفريقية من ميزات في مراحل تطورها تتمثل في:

لديها إرادة لا تنثني لان تكون بتمام حريتها، وهي متواجدة بالكامل في كل مكان.

تملك إرادة ثابتة من اجل إعادة القيم الثقافية الأفريقية إلى مكانتها الحقيقية.

نيتها من اجل إثراء حضارة أفريقيا سعيا منها إلى تلقيحها بباقي الحضارات الأخرى، وهي قمينة بالمساهمة في خلق حضارة عالمية، وهذا راجع إلى انفتاحها عليها منذ زمان.

- قابلية الإنسان الأفريقي، وهي هائلة من اجل التكيف، وهذا يبدوواضحا خلال تاريخ أفريقيا، وعبر مسارها التواصلي الذي لا ينكره إلا جاحد.

- تمتلك حسا شديدا نحوتحقيق حلم العدل على مستوى العلاقات البشرية.

- تتميز بقوة خارقة تجنح بها نحواظهار روح صادقة وباذخة من اجل التضامن الأخوي مع جميع شعوب الأرض كلها، وهذه الروح نابعة من المعيش اليومي البسيط الذي ينبني أصلا على التلاحم والتواد والإخاء والتعاون.

- الطاقة الهائلة التي تجعلها تعتز بالمساهمة كليا في نطاق تحقيق روح التبادل العالمي لأنها جبلت على الفكر الجمعي بعيدا عما هوانفرادي إذا ما قسناه مع العالم المتقدم الذي بقي ملتصقا بفردانيته ولم يستطع رغم كل شيء الانفتاح على الجماعة رغم ما يتبجح به من شعارات تقشعر لها الأبدان.

فقط يبقى الإنسان الأفريقي يعيش جرحا غائرا جرَّاء فكرة الآخر الذي طالما أوقعت به في متاهات النسيان وهوعلى غير أهبة، لأنه لم يكن مزودا بكامل العدة عندما فرض عليه محك القوة من الخارج إلى درجة استعبدته ونكلت به؛ متناسين انه حقا يعتبر أخا للآخرين، مما جعله يبقى – وذلك من حقه – ومن حقه حذرا متأهبا لئلا يوقع به ثانية، وذلك عبر اكتسابه المعرفة التامة بالتقنيات العصرية وبمكوناتها الكاملة؛ وهكذا، أصبح يحاول اللحاق بغيره في كل الميادين العلمية، ناهيك بالفنية والرياضية التي أصبحت ملكا له بامتياز.

وهكذا، فان أفريقيا لم يتسرب إليها يوما اليأس وهي تكتوي بنار العنصرية والتهميش من قبل بقية العالم، فبقيت على اتصال وتواصل بالشعوب المسالمة التي تستصحب معها حسن النية في التعامل الإنساني، والتي لها نفس الرغبة في العدالة والاحترام المتبادل. إلا

أن سبيلها تعترضه عراقيل كثيرة مع الأسف الشديد، ولهذا كان عليها ولا زال أن تعمل جاهدة كي تدلل على فطنتها ونفاذ رؤيتها كما عليها أن تميز بين الصداقة الحقيقية وظواهر الإحسان الزائف من قبل المتعالين والمصلحين من البشر كائنا من كانوا.. وهذه كانت من المفروض أن تكون مهمة زعماء أفريقيا المخلصين كي يبذلوا قصارى جهودهم للقيام بإسهاماتهم في هذه المهمة بنجاح.. بالطبع هذا لم يحصل لاعتبارات شتى، لكن أن هذا الأمل لم يكن ليعفي الأفارقة شعوبا ومحبين للحرية من اليقظة الشديدة، ولا سيما عندما تكون سلامة أفريقيا مهددة، والحال أننا عشنا هذه المفارقات الغريبة عبر أزمنة متفاوتة وبحسرة لا توصف. وأفريقيا لا تختلف عن باقي القارات على مستوى التعاون والتواصل رغم ما قد يبدوأنها تعيش بعيدا عن العصر، وفي انسداد أفق انتظار ملموس.

والحال أن روح التضامن الأفريقي ليست قاصرة على أبناء أفريقيا فقط، بل من تعامل معهم من باقي القارات الأخرى سيلاحظ أن هذه الروح التضامنية تمتد عندهم إلى الشعوب الأخرى سيما التي تتقاسم معهم نفس الهموم الإنسانية، ولا غرابة في هذا ما دامت هذه الشعوب أيضا تنتمي إلى الأسرة الإنسانية الكبرى التي علينا اليوم أن نفكر في مصيرها الاقتصادي والبشري والقاري، وبذلك نكون قد خدمنا مصلحة الجميع على اعتبار أن الإنسان يبقى ارقي وأنبل ما على هذه الأرض.

وحتى ننصف القارة الأفريقية اليوم علينا أن نستحضر التاريخ القريب مهما يبدولنا بعيدا، لنرى روح التضامن هذه وهي في نشاطها المستمر؛ فأولئك الذين هم من أصل إفريقي والذين اندمجوا مثلا في زمن ما في الأمة الأمريكية، بكل تأكيد نتذكر كيف استطاعوا الاندماج فيها ومعها وخدموا وطنهم الجديد بنفس الحماس الأفريقي ولم يخونوا وطنهم الثاني هذا قطعا. وعلى هذا الأساس ندعواليوم أمريكا وباقي الأمم إلى إعادة التفكير في مصير أفريقيا وهي تعيش ما تعيشه من مفارقات وتناقضات فرضتها عليهم الحياة الجديدة المطوقة بهالة العولمة التي لا ترحم معشر المغلوبين على أمرهم... وليعلموا أن هذه القارة التي تعيش فقرا على جميع المستويات كانت بالأمس القريب فخورة بكم وشاركت معكم في حروبكم، وبذل الأفارقة الذين حاربوا تحت ألوية أجنبية شتى قصارى جهدهم في خدمة المجتمع الذي اقسموا على الإخلاص له. ولنا أن نذكر المعارك التي وقعت في القارة الأفريقية خلال الحرب العالمية الأولى، والمعارك التي وقعت في اروبا وآسيا، إلا أننا مع الأسف الشديد سرعان ما طوينا صفحتها وما عاد احد يذكرها وكان على الأجيال الماضية أن يلقّنوها أبناءهم إنصافا لهم أولا وإنصافا للتاريخ ثانيا.

وعلى المجتمع الدولي أن يولي اهتماما للقارة الأفريقية تماما مثلما يفعل مع باقي القارات ما دامت أفريقيا تعمل جاهدة وفي هذه المرحلة الحاسمة بالذات من تاريخها العصيب،

- إن أفريقيا دائمة الاستعداد لخدمة كل القضايا الكبرى، وتتعاون مع الأقطار الأخرى.

- إن أفريقيا لا تقبل أن تغيب عن المباحثات التي تقرر الخط الذي يجب اتباعه عندما تنشأ أزمات

دولية فتستثنى منها.

إن أفريقيا ترى تهميشها إلا إذا تعلق الأمر فقط بالانخراط في التعاون العسكري الدولي، وجعلها حقلا للتجارب الحربية، واكتشاف قدراتها الثرواتية، والحاجات إلى طاقاتها البشرية..

إن تفاعل أفريقيا العادل مع القضايا العالمية لا يدخل فقط في احترام النفس الأفريقية وحسب، بل إنها مسالة تعاون صحيح بين أناس يحترمون بعضهم البعض، ويتمتعون بحقوق متساوية في عالم لا يتم انتعاشه في آخر المطاف إلا بروح العدالة.

ولعلَّ وجهة نظرنا في هذا المقال تصدر عن حقيقة انتمائنا لهذه القارة التي نرجوأن تحظى بالإنصاف في مسارها التاريخي ولومرة، لأنها كانت وستبقى أبدا مرجعية حضارية، واقتصادية، وبشرية، يحتاج إليها العالم ولا يحسب انه قضى منها وطره ولم يعد اللجوء إليها يكتسي أهمية كبرى؛ ولهذا فإن أفريقيا ونقولها بكل اعتزاز، تمثل مستقبل بقية العالم لأنها نفسها عالما بكرا يجب أن تتطور معها العلاقات في المستقبل، والتي ستؤدي حتما في عدم تفعيلها إلى كارثة شاملة، أوإلى التناغم التام في سبيل بناء حضارة عالمية، والأمر الذي لا نقاش فيه يعتمد أصلا على ما إذا كان هذا التطور سيتحقق بروح من الاحترام المتبادل، أوبروح من التسلط، والازدراء، وعاقبة هذه الأمور لن تحمد عقباها لان العالم كل العالم في آخر المطاف من سيكون الضائع الأكبر.

ولعلنا نتذكر في هذا الإطار ما تنبأ إليه عظماء المفكرين وهم يتقصون حقيقة الشعوب التي سرعان ما تنسى أن البناء الجماعي لا يمكن أن تتحقق دعائمه إلا إذا كان يستهدف الإنسان باعتباره عماد الحياة، وإلا فان الفردانية مهما حققت من نجاح، تبقى أبدا مقصرة في حق الإنسان أولا، وما دام هوبدوره ينتمي إلى هذا الجنس البشري فيكون حتما قد قصر في ذاته ثانيا، فيكون إما قد خسر نفسه وربح العالم، أوربح العالم وخسر نفسه، ومن المؤكد انه سيكون قد خسرهما معا.. والسياسي الشاعر الأفريقي « سنغور» طالما أشار إلى أن أفريقيا لا تعرف شعورا معاديا لأمم العالم الأخرى، بل إنها دائمة التمني إلى أن تراها تتمتع بالسعادة التي تتوق إليها هي الأخرى:

بارك هذا الشعب الذي يحطم قيوده
قطيعا جائعا من الأقوياء والمعذبين
شعوب آسيا، وكل شعوب
التي تنضح دما ومعاناة، وفي وسط
رؤوس شعبي المرتفع موجها
بحزام من الأيدي الأخوية

بارك هذا الشعب الذي استدار ليجابه
ومعه بارك شعوب اروبا كلها، وكل
أفريقيا وشعوب أمريكا كلها،
ملايين الأمواج هذه، انظر إلى
واجعل أيديها الدافئة تطوق الأرض
تحت قوس قزح من سلامك.

التوحد..
بين الواقع والتهويل

بقلم: د.هدى صبّاح

س: هل – بالفعل – الطفل التوحدي يمتلك مواهب بنسبة تفوق ما يمتلكه أقرانه من الأطفال الآخرين؟

س: ما هو السر الخفي وراء قدرة الإناث على إخفاء أعراض التوحد؟

س: كيف تؤثر انفعالات الأسرة سلبًا أوإيجابًا في حياة طفلهم؟

س: هل من آفاق علمية، أواكتشافات طبية جديدة لذوي التوحد؟

تعد الأسرة أولى المؤسسات الاجتماعية للطفل التوحدي، لما توفره له من سبل الرعاية الأسرية المتوافقة مع احتياجاته، وتنعكس آثار الأدوار الاجتماعية السليمة بين أفراد الأسرة على الحياة النفسية للآباء والأبناء وخاصة في مرحلة الطفولة التي تعد مرحلة البناء النفسي.

وعندما تكتشف الأسرة أن أحد أطفالها من ذوي الاحتياجات الخاصة ومنها حالات التوحد، كأنها – في الغالب – تصاب ببعض المشاكل النفسية مثل الاكتئاب والحزن وخاصةً الوالدين. وهذا الشعور ناتج من أن الصورة الشائعة عن التوحد تبدوضبابية ومبهمة، فيمرون بمشاعر عديدة تبدأ بالإحباط والقلق، وتستمر هذه المشاعر إلى حين الانتقال إلى مرحلة السعي لإيجاد الحلول المناسبة.

مقدمتي السابقة تبرز حاجة الأسـرة بكاملها (الوالدان والأخوة والأخوات الكبار) إلى معرفة ماهية التوحد للتعامل معه ولابد للأسرة الواعية من تشخيص الحالة؛ والاستعانة بالمختصين، وطلب المساعدة منهم لمساعدة طفلهم التوحدي على استيعاب حالته والتعايش معها للعبور إلى حالة أفضل.

ولكن – مع الأسف - سرعان ما يتجاوب الآباء والأمهات مع المشكلة بالرفض لعدم قدرتهم على فهم واستيعاب مايعانيه الطفل. إن النطلوب هوالتعرف نقاط القوة والضعف لديه، وكيفية التعامل معها بطريقة أفضل، وتوفير أفضل السبل التي تساعد طفلهم على حياة كريمة.

ما المقصود بالتوحد؟

هو نوع من الإعاقات النمائية سببها خلل وظيفي في المخ يصعب معها استيعاب المخ للمعلومات ومعالجتها مما يؤدي إلى ضعف فى نمو الإدراك الحسى واللغوى، وبالتالى عدم القدرة على التواصل والتخاطب والتعلم أو التفاعل الاجتماعى.

ويصاحب هذه الأعراض نزعة انطوائية، فيعيش الطفل منغلقًا على نفسه مع اندماجه فى حركات نمطية أو ثورات غضب كرد فعل لأي تغير فى الروتين، وتؤكد الدراسات الحديثة أن التوحد ينتشر بنسبة طفل في كل 166 طفل في العالم، كما تشير الإحصاءات إلى أن نسبة إصابة الذكور بالتوحد تفوق تسعة أضعاف ما يصيب الإناث.

ويعتقد الباحثون أن هذا الأمر ناجم عن التغيرات الجينية بين الجنسين، فضلاً عن اكتشاف جوانب معيبة في جينات الذكور يمكن أن تسبب إصابتهم بالتوحد.

الإناث بذكائهن الأكثر قدرة على إخفاء معالم المرض.

كشف علماء النقاب حول ارتفاع معدلات الذكاء عند الإناث عن الذكور رغم صغر حجم أدمغة النساء بحوالي 8%، كما تزداد فرص إصابة الذكور بالتوحد 9 مرات مقارنة بالإناث، ويعزى السبب في ذلك إلى التغيرات الجينية بين الجنسين فهن الأكثر قدرة على اكتساب معارف جديدة قبل الذكور، ويتضح ذلك جليًا في قدرتهن على تعلم النطق بسرعة مقارنة بالأطفال الذكور، وإنشاء عبارات طويلة، وأيضًا إتمام العمليات الحسابية ببراعة، وبالتالي حل المهام المعقدة بأقل مجهود مع استخدام أقل للخلايا العصبية.

وهذه الكفاءات المتعدده قد رمت بظلالها على خاصية التوحد عند الإناث ليصبح من الصعوبة بمكان تشخيص حالتهن بالتوحد ؛ لقدرتهن العجيبة على إخفاء أعراض المرض، وقدرتهن على تحديد مشاعر الناس من سعادة أوحزن أوخوف.. إلخ، بينما يجد الكثير من المصابين بالتوحد أواضطرابات مماثلة صعوبة في تحديد طبيعة مشاعر من حولهم، وهذا الإخفاء يزيد الأمر تعقيدًا فتصاب الفتاة بمشكلات أخرى، مثل: الاكتئاب والقلق واضطرابات الأكل.

أسباب مرض التوحد:

تكمن عدة عوامل مختلطة وراء الإصابة بالمرض، ومن أهمها:

العوامل الوراثية: والمتمثلة في حدوث العديد من التحولات الوراثية المرتبطة بالمرض، كتكرارالكروموسومات، أوفقدها للنكليوتيدات، أوتغير ترتيب الجينات بها، وتؤكد الأبحاث على قوة تأثير العوامل الوراثية في ظهور المرض، ففى التوائم المتطابقة

الناشئة من بويضة واحدة تصل نسبة الإصابة في أحدهم إذا أصيب الآخر إلى 30 %، كما تشير عدة أبحاث إلى أن نسبة الإصابة في الأطفال ذوى القرابة من الدرجة الأولى أكبر منها في الأقارب لأطفال عاديين.

الإصابة ببعض الفيروسات: كالعدوى عند الولادة بفيروس الحصبة الألمانية، وداء القطط، وبعض الأمراض التي تصيب الجنين بعد الولادة كالإلتهاب السحائي، ولا تعتبر هذه الأمراض سبب أساسي للتوحد ولكنها قد تساعد في ظهور المرض.

العوامل البيئية: كالتسمم بالمعادن الثقيلة مثل الزئبق والرصاص.

تعرض الطفل للزئبق الموجود في بعض التطعيمات كمادة حافظة

تعرض الطفل للصدمات النفسية بسبب سوء المعاملة.

سوء التغذية: لما له من أثر سلبي على الجهاز المناعي مما يساعد في ظهور المرض، والتغذية السيئة مرتبطة أيضًا بالطعام الذي تتناوله الأم أثناء فترة الحمل؛ لذلك يجب على الأم الحامل أن تحرص على تناول الأطعمة الصحية السليمة.

الأعراض:

تتفاوت شدة علامات التوحد من طفل لآخرحسب شدة المرض، وفيما يلي أهم أعراض التوحد:

1 ـ ميوله للعزلة والبقاء منفردًا.

2 ـ لا يحب العناق، ويتسم بالتحفظ وفتور المشاعر.

3 ـ لا يحب النظر لعيون الآخرين عند التحدث معهم.

4 ـ تعلقه المبالغ فيه بالأشياء، مثل لعبة معينة.

5 ـ لا يبدأ الحوار، ولا يكمله.

6 ـ عدم القدرة على التواصل اللغوي، فيصدر أصواتًا غير مفهومة، أويعتمد على كلمات يسمعها.

7 ـ يقاوم التغيير في عاداته، وعند محاولة إجباره على ذلك فإنه يثور بشدة.

8 ـ عدم القدرة على استخدام الأساليب غيراللفظية للتعبير، مثل: الحملقة في العين، والحركات الجسمية، أوالتعامل بالإشارات.

9 ـ بعضهم لا يبدي خوفًا من المخاطر، وقد يؤذي نفسه بالعض أوشد شعره.

10 ـ قد يعاني بعضهم من التبول اللاإرادي ؛ لأنه لا يجيد الإشارة أوإمكانية التعبير عن احتياجاته.

11 ـ القيام بحركات غريبة مثل رفرفة اليدين، القهقهة بلا سبب وفرك الأشياء.

12 ـ حساسيتهم المفرطة لبعض الأصوات والمثيرات الحسية دون غيرها.

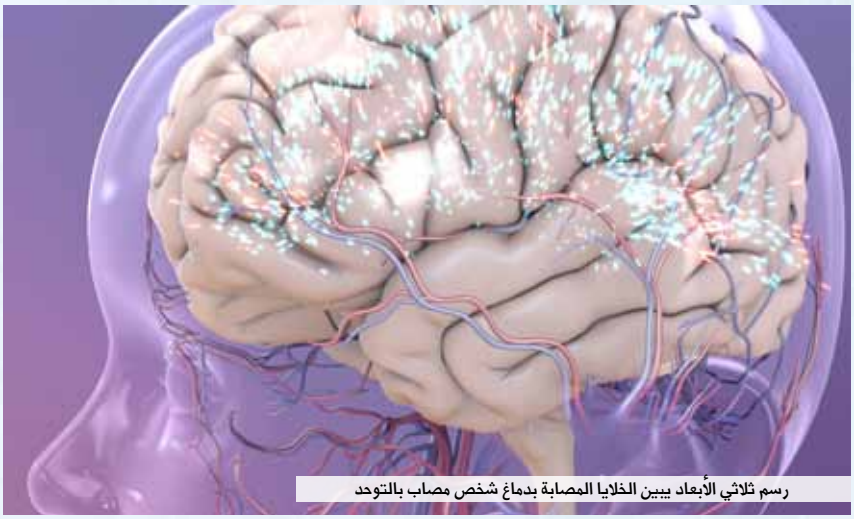
رسم ثلاثي الأبعاد يبين الخلايا المصابة بدماغ شخص مصاب بالتوحد

هل حالة الأسرة النفسية تؤثر على الطفل؟

بالطبع تؤثر حالة الأسرة النفسية على الطفل، فكلما طالت فترة استنكار الأسرة للمرض أخَّرَ ذلك من سرعة توجّه الأسرة لبدء العلاج، فللأسرة دور كبير تجاه الطفل التوحدي.

ويجب أن يهتم الوالدان بتطوير علاقتهما بالطفل والتأكيد بأن محبتهما له لن تفتر كونه مختلفًا عن أقرانه من خلال نظرة أولمسة أورتبة على الرأس، ومن الممكن تحويل الانفعالات السلبية للأسرة تجاه المرض إلى طاقة إيجابية من خلال التوعية، بأن يشرح لهم الطبيب ماهية المرض، وكيفية التعامل مع الطفل، وما احتياجاته في هذه الفترة، ومن الضروري أيضًا أن يقدم لهما الدعم من خلال عرض حالات مرضية مشابهة لحالات شُفيت أوتحسنت بفضل اهتمامهم بالعلاج وحرصهم على تنفيذ إرشادات الطبيب، كما أن توفير الرعاية الصحية للطفل مهم جدًا ؛ لأنها تساعد على تحسين سلوكه، ومن ثم تؤثر إيجابيًا في الأسرة وتعطيها الأمل.

علاج التوحد عند الأطفال:

للتعامل مع حالات التوحد عند الأطفال فإن وعي الوالين بالحالة ومتطلباتها أمر ضروري إلى جانب الوسائل التالية:

- برامج التدخل المبكر لتحسين مستوى التحصيل اللفظي والكلامي من قِبل الأخصائيين.

- استخدام الوسائل التربوية والتأهيلية المنوطة بتحسين التفاعل والتواصل مع الأهل والمجتمع، مثل: برامج التحليل السلوكي للحد من السلوكيات العنيفة أوالمتكررة، وذلك بالتعزيز الإيجابي ومكافأة الطفل لإظهار السلوكيات الجيدة بدلاً من معاقبته.

- المعالجة الطبية لإزالة المعادن الثقيلة من جسم الطفل التوحدي إن كانت نسبتها في دمه مرتفعة وذلك على أيدي أطباء متخصصين.

- تطبيق برامج العلاج المهني ؛ ليكتسب الطفل - مهارات ممارسة العادات الصحية السليمة وكيفية ارتداء ملابسهم بأنفسهم، ويساعد العلاج الوظيفي فـي كيفيـــة تحكم الطفل في نفسه وتجنب الحركة الزائدة أوالمتكررة.

- العلاج البصري لتمكين الطفل من ترجمة الإشارات البصرية إلى كلمات منطوقة.

- التقييد بنظام غذائي معين خالٍ من الأطعمة التي تحتوي على القمح والغلوتين والشوفانً والكازين (بروتين موجود في منتجات الألبان) ؛ لأنها من الأطعمة صعبة الهضم وبالتالي تؤثر على عمل الدماغ، وتؤدي إلى ظهور السلوكيات العدوانية، ويستعاض عنها بإضافة المكملات الغذائية من الفيتامينات المفيدة.

استخدام أساليب العلاج الحسي لتقوية حاسة اللمس بغرض تطوير الإبداع والخيال لدى الطفل المصاب بالتوحد كاستخدام الرمل والمياه والطين في اللعب.

العلاج بالدمج:

الدمج هوإتاحة الفرص للأطفال من ذوي التوحد للانخراط في المجتمع بدمجهم فى المدارس أوالفصول العادية مع أقرانهم العاديين، مع تقديم خدمات التربية الخاصة والخدمات المساندة لهم، علاوة على إتاحتهم الفرصة كاملة للتعليم المتكافئ مع غيرهم من الأطفال، والتقليل من الفوارق الاجتماعية والنفسية بين الأطفال أنفسهم، وتخليص الطفل وأسرته من الوصمة التي يمكن أن يخلقها وجوده في المدارس الخاصة، وإعطاؤه فرصة أفضل ومناخًا أكثر تناسبًا لينمونموًّا أكاديميًا واجتماعيًا ونفسيًا سليمًا إلى جانب تحقيق الذات عند الطفل ذي الاحتياجات الخاصة وزيادة دافعيته نحوالتعليم ونحوتكوين علاقات اجتماعية سليمة مع الغير، كما يستهدف بشكل عام تلبية الاحتياجات التربوية الخاصة للطفل ضمن إطار المجتمع الذى يعيش فيه ووفقًا لأساليب ومناهج تربوية مدروسة، ومن ثم فإن التدريس لهم في الفصول العادية يمكنهم من محاكاة وتقليد سلوك الأطفال العاديين، فيزداد التواصل والتفاعل الاجتماعي معهم، كما يسهم كثيرًا وفي سن مبكرة في تحسين اتجاهاتهم نحوأقرانهم الطبيعيين، فالدمج التربوي يعمل على إيجاد بيئة واقعية، يتعرض فيها الأطفال ذوالاحتياجات التربوية الخاصة إلى خبرات متنوعة، ومؤثرات مختلفة تساعدهم على تكوين مفاهيم صحيحة واقعية عن العالم الذي يعيشون فيه.

العلاج الحسي والبدني:

يعاني أطفال التوحد مشاكل حسية منها مشكلات مع التوازن والضجيج، وكذلك حساسيتهم المفرطة من لمس بعض الأشياء، مثل أنواع معينة من الملابس كالجوارب ويتم علاج ذلك بتوفير غرف العلاج الحسي والمصممة بشكل خاص لتحفيز جميع الحواس، وهي تحتوي على كم كبير من الأدوات والأجهزة والألعاب التي تعمل على إثارة عدد من الحواس في آن واحد، مثل المقاعد المصنوعة من مواد وأقمشة خاصة تساعد على الاسترخاء، وكذلك أنابيب البلاستيك المملوءة بفقاعات الهواء الملونة بألوان زاهية وأسلاك ضوئية مضاءة بألوان متنوعة لتحفيز حاسة البصر.

كما أكدت الأبحاث العلمية الحديثة على إمكانية علاج مرض التوحد من خلال تعديل فرط حساسية الطفل التوحدي للأصوات، بتدريبه وتأهيله لسماع أصوات مصممة بطريقة معينة، بحيث تخلومن الترددات التي تزعجه مما يساعد في تطويرقدراته السمعية واللغوية ومهارات أخرى عديدة.

وجدير بالذكر الإشارة إلى أهمية ممارسة الأنشطة الرياضية في تنمية المهارات الحركية لجميع الأطفال سواء الطبيعيين أوالمتوحدين خاصة تنمية مهارات التوازن والتجانس الحركي العصبي وإكساب الطفل مزيد من المرونة والرشاقة علاوة على تفريغ طاقة الطفل مما يساعده على التخلص من التوتر والنشاط الزائد، ويتم تدريب الطفل على المهارات الرياضية المتنوعة بتجزئة المهارة إلي عدة أجزاء وعمل كل جزء علي حِدَة، ثم ربط الأجزاء ببعضها وأدائها بصورة شاملة من خلال تدريب فردي مكثف ثم الانتقال إلي التدريب الجماعي.

الإرشاد والدعم الأسري:

يلعب الإرشاد الأسري دورًا هامًا في حياة أسر أطفال التوحد بتمكينهم من معرفة الخيارات الطبية والعلاجية والتربوية والاجتماعية المتاحة، كما يدلهم أيضًا على كيفية الحصول على المعلومات التي يحتاجونها، والمشاركة الفاعلة في تدعيم صورة إيجابية عن ذوي الاحتياجات الخاصة، وإيفائهم كافة الحقوق التي تكفل لهم حياة كريمة، ومن هذه الحقوق حصولهم على مهن تتناسب مع قدراتهم، وتمكنهم من العيش باستقلالية، وتوفير خدمات اجتماعية تساعد في تحقيق هذه الحياة لهم، ولا يقتصر دور الإرشاد على توضيح كيفية التعامل مع الطفل ذي الاحتياجات الخاصة فقط، بل توضيح أهمية دور الأبناء، وتقبلهم لوجود أخ أوأخت باحتياجات خاصة في المنزل، وفي سبيل ذلك يقوم الإرشاد بتوضيح كيفية التعامل مع احتياجات الإخوة، والأخوات، والمشاكل التي يواجهونهاومن أهم مهامه:.

- مساعدة الوالدين للنظر إلى مشكلة التوحد بصورة أكثر موضوعية، وفهم ما هومحتمل من سلوك الطفل التوحدي في المستقبل.

- مساعدة كافة أفراد الأسرة ليتفهموا أن للطفل التوحدي نفس الاحتياجات التي لديهم مثل الاحتياجات الجسمية والترفيهية والتربوية.

- مساعدة الوالدين على الاستفادة من كافة المصادر المتوفرة في المجتمع.

- تعليم الطفل كيفية الاعتماد على نفسه تدريجيًا وكيفية التعامل مع عالمه الخارجي.

- توفير الدعم اللازم لتحقيق ذاتهم عن طريق فهم الجوانب الغامضة لديهم والمسببة للإحباط، مثل: عدم استغلال طاقاتهم وإمكاناتهم وعدم رضا الآخرين عنهم.

مقومات هامة للحد من الإعاقة:

العلاقة بين الأم وطفلها تعتمد على العاطفة والحنان، وتبدأ في فترة الحمل، وتستمر حتى نهاية العمر، فسلامة الفكر والجسم لدى الطفل ونموقواه العقلية والجسمية له ارتباط وثيق بدور الأم ؛ لأنها المربي والمعلم الأول في حياة طفلها، وعليها تقع مسؤولية رعاية طفلها ومتابعة كل المتغيرات التي يتعرض لها من كونه جنينًا وحتى يكبر، وكيفية تقويم بنيته النفسية والاجتماعية.

إلى جانب ذلك يوجد تأثير للعوامل المحيطة بالجنين وبالأم والتي تؤثر في درجة النموفي سرعته حتى إن الكثير من حالات الإعاقة النفسية والجسمية والعقلية تكون نتيجة لهذه الظروف ومن ثم يتطلب من كل أم الاهتمام بما يأتي:

- الحرص على إرضاع الطفل رضاعة

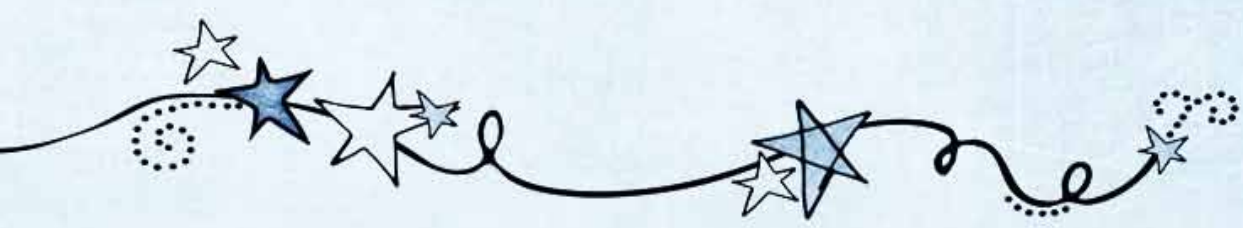

طبيعية ومراجعة الطبيب بانتظام طوال فترة الحمل، وعدم تناول أي نوع من الأدوية إلا بعد استشارة الطبيب خصوصًا في الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل مع عدم التعرض للإشعاعات إلا للضرورة التي يراها الطبيب، بالإضافة إلى متابعة نموالطفل متابعة جيدة والاهتمام بعناصر غذائه ومتابعة مواعيد التطعيم للوقاية من الإصابة بالأمراض التي تسبب الإعاقة، مع التأكيد على الالتزام بالكشف والفحص الطبي قبل الزواج والتحصين ضد الأمراض المعدية، وجدير بالذكر الإشارة إلى الإرشادات والنصائح التربوية والنفسية حيث يجب الأخذ بها من قبل الآباء والأمهات، ومن أهمها:

- امتداح نجاح الطفل والأشياء التي يعملها بشكل صحيح حتى ولوكانت صغيرة.

- تقويم سلوكياته بطريقة غير مباشرة.

- التحدث اليه بوضوح وبصوت مرتفع مع استخدام أكثر من طريقة لتوصيل المعلومة.

- الملاطفة الجسمانية كالتربيت على الكتف فكونه معاقًا لا يستطيع فهم الثناء عليه بالكلام فقط.

- محاورة الطفل بأسلوب طبيعي فلا فائدة من الكلام بالأسلوب الطفولي مع استخدام أكثر من طريقة لتوصيل المعلومة إليه وجعله يستخدم الحواس الخمسة.

- عدم المبالغة فى تدليل الطفل ولا تبخل عليه بالثناء، وتعامل معه بتقدير واحترام دون استهزاء.

- إتـــــاحـته الـفـرصـة لـتـحـمـل المـسـؤولـيـة واختياراحتياجاته بنفسه.

- الأخذ بالاعتبار أن النموالعقلي والإدراكي مرتبط بمقدار ما تقدمه الحواس للطفل، وبما يتم استكشافه بواسطتها من العالم الخارجي.

- ضبـط وتقـويم لغته المنطوقة وتشجيعه على اللفظ الصحيح.

- استثارة تفكيره باستمرار من خلال عملية الملاحظة والفك والتركيب.

- استخدام القصص في تربيته الخلقية والعقلية.

- الانتفاع من أسئلته لتموين قاموسه المعرفي.

- مساعدة الطفل على استفاء معلوماته من الملاحظة والتجربة.

- عدم تعويده على الذاكرة الآلية.

- يتوجب على الأم معرفة أن خبرات الطفل الوجدانية خلال طفولته تؤثر على حياته اللاحقة.

- الإقلال من الأوامر الزاجرة أوالضاغطة، والعمل على تنمية شخصيته من خلال الزيارات والمناقشات.

- مساعدته وخاصة في فترة المراهقة لتحقيق التوازن بين انفعالاته، وبين نقص قدراته الضابطة.

- عدم إجباره على مواجهة موقف يخشاه، واجتنابه عنصر المفاجأة أوعدم الاستعداد المسبق.

- كما أن الإشادة بنجاح الطفل يساعده على تجنب الشعور بالخجل.

اكتشافات واعدة وآمال متجددة:

في سابقة هي الأولى من نوعها توصل العلماء أن ثمة خلل في منطقة محددة في الجهاز العصبي تؤدي إلى التوحد، وعلى الأخص الجين المسؤول عن بناء نقاط الاشتباك العصبية، والتي تمثل حلقة الوصل بين الخلايا العصبية في جسم الإنسان، علاوة على عمليات زرع الخلايا الجذعية، ومن ثم أمكن علاج هذا الخلل، وتصحيح مسار دائرة نقل المعلومات بين المخ والجهاز العصبي، كما توصل علماء أمريكيون إلى نوع من الدواء مدر للبول، وعقار آخر يعمل على علاج التوحد بتصحيح نظام التراسل بين الخلايا، وأكدت الأبحاث أن هذه الاكتشافات الجديدة صححت 17 نوعًا من مشاكل التوحد من بينها مشاكل السلوكيات الاجتماعية، كما أكدت نتائج آخر الأبحاث على أهمية التكنولوجيا الذكية كالكمبيوتر، والآي باد كأدوات علاجية لتحسين قدرتهم على التعبير.

مواهب رغم أنف التوحد:

أكدت معظم الدراسات والبحوث أن نسبة أطفال التوحد الذين يملكون قدرات خاصة وخارقة هي 10% بينما نسبة الأطفال الموهوبين والمميزين الأسوياء هي 1% فقط فهو يتمتع بذاكرة قوية وقدرات خاصة فى التعامل مع الأرقام والمعاملات الحسابية المعقدة، وهى المواهب التى يجب استغلالها بدلاً من اعتباره طفلاً متأخرًا عن غيره، كما يتميزون بقدرتهم الفائقة على إعادة تركيب أجزاء الأجهزة.

ويذكر التاريخ العديد من عباقرة الفن والأدب من أمثال بيتهوفن وإسحاق نيوتن وأينشتاين بالإضافة إلى العديد من الكتاب والفلاسفة والفنانين التشكيليين، ولكن ما لا يعرفه الكثيرون أن هؤلاء العباقرة كانوا مصابين باضطراب التوحد، فهذا الاضطراب يعد في حد ذاته الطريق الوحيد للوصول إلى قمة القدرة على التخيل، فضلاً عن وجوه فنية، أشهرها شخصية «

مستر بين » الشهيرة والتي لعبها الممثل روان أتكينسون، وشخصية بيرت في عالم السمسم.

الإبتسامة أجدى من العصا!!

عزيزاتي الأمهات.. أعزائي الآباء:

اتخذوا من هذه المقولة علاجًا شافيًا، وأسلوبًا تربويًا ساحرًا لتقويم سلوكيات أطفالكم، فالطفل التوحدي بحاجة إلى البشاشة والتحلي بالصبر والمرونة في جميع تعاملاتكم معه، وكونوا أكثر اقترابًا منه وملاحظة لأي موهبة يمتلكها بغرض تنميتها وتشجيعه على تطويرها بتوفير المناخ الأسري الجيد الذي يشعر فيه الطفل بالطمأنينة، فالعناية بالأطفال من أهم أعمال الآباء والأمهات، فبالعناية بهم يسعدون، وبإهمالهم يشقون، ولا تواجهوا العنف بالعنف، ولا الصراخ بالصراخ. وكوني أيتها الأم.. وكن أيها الأب مرنًا وصبورًا فى عملية تعليم طفلك بتعزيز السلوك الجيد فى أي موقف من المواقف، ولا تخجل من سلوكياته أمام الناس، إن لطفلك مواهب لا يمكن تجاهلها، ابحث عن مواهب طفلك واعمل على تنميتها.

المراجع العربية والأجنبية

ـ المعاقون.. مفهوم الذات والتكيف الاجتماعي، للكاتب آزار عباس عبد اللطيف، الناشر: التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، سنة النشر 2003م
ـ كتاب التوحد، د. أسامة فاروق مصطفى، د. السيد كامل الشربيني، الناشر: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الطبعة الأولى 2011 م ـ 1432 هـ
ـ الروسان، فاروق: دراسات وبحوث في التربية الخاصة، دار الفكر، الأردن، الطبعة الأولى، 2000م

_ www.sciencedaily.com/releases/2013/11/131106132031.htm
_ www.sciencedaily.com/releases/2013/10/131017114233.htm
_ www.sciencedaily.com/releases/2013/06/130625141216.htm
_ www.sciencedaily.com/releases/2013/09/130911093149.htm
_ www.theguardian.com/lifeandstyle/2012/feb/26/computer_geeks_autism
_ www.dailymotion.com/video/x148n5i_autistic_children_gifted_at_math_have_different_brain_patterns_lifestyle
_ blogs.theprovince.com/2013/06/13/raising_the_gifted_autistic_child/
_ abcnews.go.com/blogs/health/2013/03/20/grandfathers_age_plays_role_in_autism_development/
_ www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/22502846
_ healthland.time.com/2012/07/10/what_child_prodigies_and_autistic_people_have_in_common/
_ www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/23766675
Clinical Manual for the Treatment of Autism

دور القطاع الخاص في تنمية ودعم الثقافة في الوطن العربي

على مدى سنوات عديدة برز دور القطاع الخاص في تحقيق التنمية المستدامة في الدول العربية وذلك في دعمه لكافة مناحي الحياة ومختلف الأنشطة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

فنجد العديد من مؤسسات وهيئات القطاع الخاص في اطار إدراكها للدور الذي يجب أن تلعبه تولي اهتماما كبيرا للأنشطة الثقافية وحرصها على تبني رسالة سامية تعنى بإثراء الإنسانية والعمل على إثراء الوجدان الإنساني والاهتمام بالقيم التي ترتقي بالعقل والوجدان وتشجع على الإبداع والخلق مما يحقق نموا حقيقيا في الفكر الإنساني وحياة الفرد.

سعاد محمود نجيب

كاتبة ومترجمة مصرية وتنشر انجازاتها في صحف ودوريات عربية مختلفة

جانب من جائزة يوسف بن أحمد كانو

ففي مملكة البحرين بلد متعدد الثقافات، والمملكة بمناخها الثقافي الحر والمنفتح قادرة على المنافسة عالميا. كما أن استراتيجية المملكة الثقافية تعنى بالشراكة مع القطاع الخاص، حيث تقوم الحكومة بدعم تطوير الثقافة في البحرين من خلال تعزيز دور القطاع الخاص من خلال عقد شراكة استراتيجية مع القطاع الخاص من خلال مشروع "الاستثمار في الثقافة" لدعم المشهد الثقافي في المملكة من خلال تمويل مشاريع إنشائية وبرامج متجددة تعتمد على الترفيه لنشر التنوع مثل المهرجانات والمعارض والأنشطة الثقافية الأخرى.

ولقد أكدت قرينة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضوالمجلس الأعلى لشؤون الأسرة في الشارقة على أن إمارة الشارقة ومملكة البحرين الشقيقة تسيران جنباً إلى جنب على خط الثقافة وتعزيز الهوية الوطنية للبلد والمواطن. جاء ذلك لدى حضور سموها أواخر الشهر الماضي ندوة الاستثمار في الثقافة التي نظمها المكتب الإعلامي والثقافي للمجلس الأعلى لشؤون الأسرة في قاعة الجواهر بالشارقة بحضور معالي الشيخة مي بنت محمد آل خليفة وزيرة الثقافة في مملكة البحرين.

وأعربت سمو الشيخة جواهر عن إعجابها بطريقة عمل الشيخة مي آل خليفة في المحافظة على هوية البحرين ومتابعتها لمشاريع الترميم للأماكن التراثية والتقليدية بالشراكة مع القطاع الخاص في المملكة.

وتأكيدا من جانبها على الدور الفعال الذي يلعبه القطاع الخاص في المملكة ذكرت سموها أنها تتمنى أن يحذوالقطاع الخاص بالإمارة حذوالقطاع الخاص في مملكة البحرين الشقيقة لتعزيز الهوية الوطنية في الدولة وإمارة الشارقة.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة بكثير من التقدير إلى جائزة يوسف بن أحمد كانو والتي تأتي في إطار اهتمام شركة يوسف بن أحمد كانو بأعمال الخير وإقامة المشروعات ذات الخدمة العامة والمساهمة الإيجابية الفعالة في المشروعات الدينية والثقافية والاجتماعية والخيرية ودعما لمسيرة العلم وتشجيعاً للمفكرين والعلماء العرب من أبناء الأمة العربية في مجالات الدراسات الإسلامية، والمال والاقتصاد والأعمال، ومجالات العلوم والآداب المختلفة.

تهدف "جائزة يوسف بن أحمد كانو" التي تُمنح سنويا إلى إيجاد الحافز للأعمال الفردية أوالجماعية المتميزة التي تساهم في إحداث إضافة نوعية في مجتمعاتنا العربية، بالإضافة إلى ذلك تعد هذه الجائزة بمثابة شهادة تقدير وتكريم لهؤلاء العلماء

جائزة عبد العزيز سعود البابطين عام 2014

والمفكرين والمبدعين.

والجدير بالذكر أن مؤسس الشركة ورائدها الحاج يوسف بن أحمد كانو- يرحمه الله – قد أولى اهتماما كبيرا بالتفوق العلمي والفكري لذا كان يوصف بأنه "يشاطر أهل العلم علمهم وأهل الأدب أدبهم بما يتحلون به في مجالسهم" كما سعى إلى نشر العلم بطبع العديد من الكتب التي أوقفها على العلماء والفقهاء وطلبة العلم والدارسين.

وتخليداً لذكرى هذا الرجل الكريم، فقد اصدر مجلس إدارة مجموعة شركات يوسف بن أحمد كانوقرارا بإنشاء الجائزة ورصد مبلغ ستة ملايين دولار أمريكي وقفا عليها وذلك لاستثمارها والصرف منها وصدرت موافقة سعادة وزير شؤون مجلس الوزراء والإعلام على إنشاء الجائزة في شهر نوفمبر 1998.

والجائزة تلقى دعماً كريماً من لدن صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين ومن صاحب السموالملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء، ويتابع مسيرتها في إطار هذا الوطن االمبارك صاحب السموالملكي الأأمير سلمان بن حمد آل خليفة ولي العهد وذلك لسموأهدافها في خدمة العلم والثقافة والأدب والاقتصاد.

أما الكويت فإنها تتبنى مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري رسالة إنسانية سامية تسعى إلى إرساء الوجدان العربي فجاء اعتناء المؤسسة بالشعر العربي واحتفاءها بالشعراء العرب إدراكا من جانب المؤسسة بالقيمة الكبرى للثقافة والشعر في بناء الأمة. ومن هنا جاء إنشاء المؤسسة عام 1989 في القاهرة عاصمة الثقافة العربية. وأكد القائمون على المؤسسة على ان إنشاء المؤسسة لم يكن ترفاً ثقافياً ولا استعراضاً للإمكانات المادية بل كان عزماً على تأكيد دور الثقافة والشعر في حياة الأمة العربية.

بالإضافة إلى ذلك، وفي اطار اهتمامها الصادق بالثقافة والشعر العربي قامت المؤسسة بإنشاء مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي التي تعد أول مكتبة في العالم تختص وتعنى بالشعر العربي.

تجدر الإشارة إلى أن إنشاء المكتبة استغرق 4 سنوات حيث تم وضع حجر الأساس عام 2002 وتم الافتتاح عام 2006.

وتقع المكتبة في قلب مدينة الكويت على مساحة 12 الف متر مربع وتطل من موقعها المتميز بجانب المسجد الكبير على الخليج العربي. وتضم مسرحا مجهزا بأحدث المعدات يتسع لحوالي 400 شخص وصممت على شكل كتاب مفتوح لتعبر عن هوية المكان.

الفائزون في جائزة الملك فيصل العالمية عام 2012

كما أنشأت المؤسسة مركز عبد العزيز سعود البابطين لحوار الحضارات عام 2005 بالتعاون مع بعض الجامعات الإسبانية، وبخاصة ما يتعلق منها بالجوانب الحضارية والتاريخية واللغوية.

وبالفعل أقام المركز عدة أنشطة لا تزال مستمرة حتى الآن ومن هذه الأنشطة كرسي عبد العزيز سعود البابطين للدراسات العربية في إحدى جامعات الأندلس،

بل وأنشأت المؤسسة أيضا مركز البابطين للترجمة في عام 2004 في إطار تشجيعها للثقافة وحركة الترجمة في العالم العربي والتأكيد على أهميتها الحضارية لأمتنا. وتجدر الإشارة إلى أن هذا المركز يعتبر إضافة نوعية لاقت ترحيب المعنيين ولاسيما بعدما ازداد الوعي بأهمية الترجمة في السنوات الأخيرة وازداد مع هذا الوعي ظهور عدد من المبادرات المشابهة في الخليج والوطن العربي.

وهكذا يتبدى لنا الدور العظيم الذي يمكن للقطاع الخاص أن يلعبه في دعم الثقافة والنهوض بوجدان الفرد.

جائزة الملك فيصل العالمية

والحراك التنموي الثقافي يسابق الزمن في المملكة العربية السعودية ولعلّ جائزة الملك فيصل العالمية وهي جائزة عالمية التي أنشئت عام 1977م، وسميت باسم الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – حيث كان أولاد جلالته قاموا بإنشاء مؤسسة الملك فيصل الخيرية تخليداً لذكرى والدهم وإسهاماً في العمل الثقافي والعلمي على مستوى الإنسانية.

وتمنح الجائزة للعلماء الذين خدموا في مجالات: الإسلام والدراسات الإسلامية والأدب العربي والطب والعلوم. يعد الاحتفال السنوي بتسليم جائزة الملك فيصل العالمية للفائزين بها من أبرز جوانب نشاط مؤسسة الملك فيصل الخيرية.

تهدف الجائزة إلى خدمة البشرية والمشاركة في بناء الحضارة الإنسانية في كافة المجالات الفكرية في حاضرهم ومستقبلهم، والتقدم بهم نحوميادين الحضارة للمشاركة فيها.

تجدر الإشارة إلى أن الجائزة منذ إنشائها سنة 1399هـ/1979م قد فاز بها 229 من 40 دولة ولما تتميز به من دقة وأمانة في اختيار الفائزين اكتسبت سمعة عالمية طيبة، ومكانة مرموقة بين كبريات الجوائز في العالم.

وفي الأردن نجد مؤسسة عبد الحميد شومان تتصدر المشهد وهي مؤسسة ثقافية خاصة تعني بالشباب والشرائح الأخرى من المجتمع الأردني،

خلال تكريم أحد المثقفين بمؤسسة عبد الحميد شومان الثقافية عام 2009

تأسست عام 1978 في جبل عمان، شكلت تلك المؤسسة منذ إنشائها ظاهرة ثقافية علمية في الأمة العربية ونمت وتطورت هذه المؤسسة بحيث أصبحت تمثل مؤشراً للدور الذي يمكن أن يقوم به القطاع الخاص في مجال دعم الثقافة والعلوم والفنون وإثراء الفكر وإشاعة الفكر الثقافي والعلمي.

ولقد عملت المؤسسة على دعم البحث العلمي والدراسات الإنسانية في محاولة لتوفير سبل النهوض بالعلوم والثقافة، والإسهام في تشجيع الأجيال الجديدة من العلماء والباحثين في الأردن وفي الأقطار العربية من خلال تخصيص جوائز سنوية لحفزهم على الإنتاج، ولقد واكب هذا الاهتمام بالعلم والعلماء والباحثين اهتمام مقابل بالثقافة والفكر، حيث يشكل منتدى عبدالحميد شومان الثقافي الذي ترتاده فئات مختلفة من المواطنين منبراً حراً يقوم دائما باستضافة أبرز المفكرين والعلماء والمثقفين والمبدعين العرب وتستقطب نشاطات المنتدى الطاقات الفكرية الأردنية والعربية.

وكتجسيد للدور الذي يليق بالقطاع الخاص في النهوض بالوجدان والفكر في المجتمع تتبوأ هذه المؤسسة مكانة مشهوداً لها على الخريطة العلمية والثقافية العربية، وتربطها علاقات تعاون وثيقة بالمؤسسات والمراكز الفكرية والعلمية والأدبية في الوطن العربي حيث تحرص على دعم المؤسسات والهيئات التعليمية، ومراكز الأبحاث، وعقد الندوات العلمية والبحثية، فقد قدمت الدعم لأشكال الإبداع المختلفة، سواء عبر العلاقة المباشرة بالمبدعين أوعبر العلاقة بالمؤسسات والمراكز العلمية المماثلة في الأردن والوطن العربي. بالإضافة إلى ذلك تخصص المؤسسة جوائز سنوية متعددة للباحثين العرب الشبان، وللأدباء الذين يكتبون للأطفال وللمترجمين.

ونذهب إلى الإمارات حيث يلعب القطاع الخاص دورا رائدا في تنمية ودعم الثقافة، فاعتزازا بالأدباء والمفكرين والعلماء العرب وترسيخاً للأمل المعقود عليهم، وتعظيما لشأنهم وتكريماً وتشجيعاً لهم للمضي قدماً في سبيل العمل الجاد والهادف للنهوض الفكري بالأمة العربية فقد قرر الشاعر "سلطان بن علي العويس" تأسيس جائزة دائمة في عام 1987 بهدف تكريم الأدباء والمفكرين العرب.

وقد احتضن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات الإرهاصات الأولى لهذه الجائزة، وتشكلت أول أمانة عامة بإشراف اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، وفي عام 1992 تحولت الجائزة إلى مؤسسة ثقافية مستقلة تحت إسم "مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية" حيث أشهرت المؤسسة رسمياً في عام 1994.

لقطة من مراسم جائزة دبي الثقافية للإبداع في دورتها الثامنة عام 2013

وتتعدد في إمارة دبي النشاطات الثقافية والفنية، وتتوزع تلك النشاطات في مؤسسات ثقافية خاصة وأهلية وحكومية متنوعة، ففي مجال النشاط الثقافي العام تبرز المؤسسات الخاصة.. وننتقل إلى (ندوة الثقافة والعلوم) تلك المؤسسة الثقافية العلمية التي تأسست في عام 1987 وهي تعنى بأمور الثقافة من خلال المشاركة في فعاليات وأنشطة ثقافية وعلمية متعددة، إبرازا لوجه الدولة الحضاري، واستشرافا لروح التراث وآفاق المستقبل في آن واحد، وذلك بهدف تعزيز مسيرة الثقافة والعلم بدولة الإمارات.

جائزة دبي الثقافية للإبداع

أيضاً هناك «جائزة دبي الثقافية للإبداع» التي ترعاها مجلة «دبي الثقافية» التي تصدر عن دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع بإشراف الأديب سيف المري و«جائزة محمد بن راشد آل مكتوم لداعمي الفنون» و«جائزة دبي للموسيقى» وجوائز أخرى الداعمة للثقافة.

هناك الكثير من المراكز الثقافية الخاصة الأخرى منها على سبيل "مركز جمعة الماجد للتراث والثقافة" الذي يحمل اسم رجل أعمال إماراتي يعد أحد رجالات الثقافة والفكر والعمل الخيري في الدولة والعالم العربي والذي إلى جانب تأسيسه لكلية الدراسات العربية والإسلامية لأبناء المعوزين من دول الخليج والدول الفقيرة فقد عُني بالثقافة في عام 1991 فأنشأ مكتبة عامة، تطورت المكتبة فيما بعد لتصبح مركزاً ثقافياً يقدم الخدمات لطلاب العلم بيسر وسهولة، ألا وهومركز جمعة الماجد للتراث والثقافة" بدبي.

أما مؤسسة "بحر الثقافة" في إمارة أبوظبي فهي تعنى الذي يعنى بالثقافة والثروة المعرفية وإيمانا من مؤسسي المؤسسة بدور الثقافة والمعرفة قاموا بتأسيسها كمبادرة ثقافية محلية ولكن بطموحات عالمية تهدف لأن تكون رافدا جديدا من الروافد الثقافية المتاحة التي ستعمل على تحقيق إسهامات مستدامة في القطاع الثقافي والفكري المحلي والعالمي في دولة الإمارات، للمؤسسة مشاركات عديدة في الكثير من الفعاليات والمؤتمرات الثقافية الهامة مثل فعاليات معرض أبوظبي الدولي للكتاب 2014. ترأس هذه المؤسسة الشيخة روضة بنت محمد بن خالد آل نهيان التي تحرص علي تقديم الإمارات للعالم كدولة منتجة للثقافة وراعية للإبداع الثقافي والفني والحضاري.

وتجدر الإشارة إلى أن لهذه المؤسسة مشروعات ثقافية طموحة مثل مشروعات الترجمة الإبداعية للتراث العربي والإسلامي إلى اللغات الأوروبية

من فعاليات مؤسسة بحر الثقافة في إمارة أبو ظبي عام 2013

والأسيوية لتعريف شعوب تلك الدول بحضاراتنا وتراثنا العريق.

إن المؤسسة معنية باللغة العربية وتؤمن أنها روحنا وروح ثقافتنا العربية لذا يعمل المسؤولون بالمؤسسة على التواصل وإقامة جسور التعاون والتفاهم مع الأخر ولكن ليس علي حساب لغتنا وثقافتنا. لذا تقوم المؤسسة بتنفيذ مشروع الترجمة حاليا وذلك بهدف تجسير الهوة مع الحضارات والثقافات الأخرى. كما تحرص المؤسسة على ترجمة الكتب الروائية العربية وتقوم مؤسسات نشر عالمية بطباعة هذه الكتب التي تتولي مؤسسة بحر الثقافة ترجمتها إلي الإنجليزية. كما أعدت المؤسسة برنامجا حافلا يتضمن جلسات نقاشية وحوارية وورش عمل للكتابة الإبداعية إلى جانب احتفالية خاصة بإطلاق المؤسسة رسميا ومشروع الترجمة الذي تتبناه "مؤسسة بحر الثقافة".

وفي أرض الكنانة فإن مؤسسة ساويرس للتنمية الاجتماعية تقدم إسهامات هامة إيمانا منها بدور الآداب والفنون في إثراء روح الأمة وبعث نهضتها، وبضرورة إسهام القطاع الخاص والمجتمع المدني في دعم جهود التنوير الثقافي. تدعم هذه المؤسسة الرائدة الحركة الثقافية في مصر على مدار الأعوام التسعة الماضية حيث تقوم المؤسسة منذ عام 2005 بتنظيم مسابقة "جائزة ساويرس الثقافية" لاختيار الأعمال الأدبية المتميزة لكبار وشباب الأدباء والكتاب في مجال الرواية، والمجموعات القصصية القصيرة، بهدف تشجيع الإبداع الفني لديهم ولإلقاء الضوء على المواهب الجديدة الواعدة.

كما قامت المؤسسة بإضافة فروع جديدة للمسابقة في مجال كتابة السيناريوالسينمائي لدعم تطور ونموصناعة السينما في مصر، وفي مجال الكتابة المسرحية للمساهمة في ظهور طاقات إبداعية جديدة في عالم المسرح وكذلك النقد ألأدبي التي أضيفت مؤخرا في عام 2013 لأهمية هذا النوع البناء من الأدب في الارتقاء بكل فروع الأدب الأخرى.

وبالرغم من تقديرنا لما أسلفنا ذكره من جهود رائعة فإن القطاع الخاص في عالمنا العربي الذي يمتلك المقومات والإمكانات التي تمكنه من تعزيز حركة الثقافة ما زال لا يقوم بدوره الفعال كما ينبغي. إن المجتمعات العربية تحتاج إلى المزيد من الإسهامات والمبادرات القوية لدعم الحركة الثقافية. يتعين على القطاع الخاص أن يقوم بإنشاء المزيد من دور النشر والمكتبات الوطنية والمؤسسات الثقافية وتزويدها بأحدث التجهيزات بل ويجب أن يدعم الإبداع وشباب المبدعين ومساعدتهم على نشر أعمالهم.

distributed
love
show
rarely
favurite
making
everyone
content
accessing
political
Social
interests
new
sites
sharing
photography
Conversation
open

وسائل الإعلام والأزمة الثقافية في بلدان العالم الإسلامي

د. رضا عبدالواحد أمين

عميد كلية الآداب بجامعة المملكة، مملكة البحرين

ثمة ارتباط وثيق ما بين الإعلام والثقافة، حيث أن الإعلام ووسائطه المتعدده بمثابة الوعاء الذي يحمل المضامين الثقافية المختلفة، وينقلها إلى الجماهير بشكل مقروء أو مسموع أو مرئي، ومن ثم تؤثر الثقافة في أي مجتمع في وسائل إعلامه، وتكسبها كثيرا من سماتها، وتتحكم في تحديد الملائم أو غير الملائم من المضامين الإعلامية في المجتمعات الإنسانية، وهو ما يفسر ظاهرة التنوع في الأنظمة الإعلامية، كما أن الإعلام يؤثر تأثيرات عميقة في البيئة الثقافية من خلال ما يطرحه من مضامين قد تؤثر ليس فقط على عمليات الإدراك، بل وتتعداه إلى السلوك.

وطبيعي أن تكون وسائل الإعلام كالمرآة التي تعكس الواقع الثقافي الكائن في أي مجتمع، لذا قد يكتسب الواقع الإعلامي كثيرا من سمات الواقع الثقافي، وتأسيسا على ذلك فالإعلام في المجتمعات الإسلامية يختلف عن ما سواه من المجتمعات، لأنه بالأساس معبر عن الهوية الذاتية للمجتمع، وعن أطره الفكرية والعقدية، وعن عاداته وتقاليده، والاتجاهات السائدة فيه عن كثير من المتغيرات.

ومن المنطقي أيضا – إذا كان الإعلام نابعا من المجتمع ومعبرا عنه – القول بأنه إذا كانت لدينا بعض الإشكاليات أو الأزمات الثقافية، أن ينسحب توصيف الواقع الثقافي المأزوم أو الذي يحتوي على عدد من الإشكاليات إلى الواقع الإعلامي، والعكس صحيح أيضا، بمعنى أنه إذا كان لدينا إشكاليات في الواقع الإعلامي كالتبعية مثلا فإنها تنسحب على الواقع الثقافي.

الواقع الثقافي المعاصر للأمة الإسلامية

الأمة الإسلامية هي التي شرفها الله تعالى بأن جعلها الأمة الخاتمة للرسالات، وخصها بالخيرية، كما في قوله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

ولا شك أن الواقع الثقافي للمسلمين يتشابك مع الواقع المادي المعاش، سياسة، واقتصادا، وإعلاما، فالحالة الثقافية هي محصلة كل الأنشطة العلمية والفكرية وهي القيم والموروثات والعادات والتقاليد التي تميز مجتمعا من المجتمعات، إذ لا يمكن النظر إلى الثقافة باعتبارها عنصرا مجردا، دون دراسة تشابكاتها مع الظروف السياسية والاقتصادية التي تمر بها بلدان العالم الإسلامي.

إن ثمة مقارنة يسيرة بين واقع المسلمين الآن وواقع المجتمعات الغربية لن يكون في صالحنا في كل معايير المقارنة، صحيح أن كثيرا من القيم والمفاهيم توجد في المجتمعات الإسلامية، ولا توجد في نظيراتها الغربية، مثل العلاقات الاجتماعية الوطيدة، والأسرة المتماسكة، إلا أ ن كثيرا من أشكال التقدم الاقتصادي والعلمي والتقني تنقص العديد من المجتمعات المسلمة، بالإضافة إلى تآكل بعض القيم في المجتمعات الإسلامية بفعل العولمة غربية المركز، والتي تحاول تنميط العالم، وتوحيد معاييره الثقافية.

وبعيدا عن مناقشة جدلية مدلول مصطلح الثقافة، وتأسيسا على ما قدمناه في تحديد مفاهيم الدراسة، فإنه يمكن القول إن الثقافة الإسلامية تمتلك العديد من المقومات والأسس التي تجعل منها ثقافة مائزة، تتحقق بتمثلها كل مظاهر التقدم في المجالات المختلفة، ومن أهم هذه المقومات:

1. أن التراث الفكري لهذه الثقافة تراث خصب غني،اتسعت آفاقه لثمار الثقافات الأخرى دون تعصب أو جمود.

2. أن الثقافة الإسلامية تملك مقومات الأصالة في تصورها لجوانب الحياتين الدنيا و الآخرة.

3. أن اللغة الأساسية لهذه الثقافة هي العربية، و هي لغة ذات تاريخ قديم متصل الحلقات، سايرت الحضارات على اختلافها، وأشبعت الحاجات على تنوعها، ووفت بمتطلبات الدنيا وأركان العقيدة،والذي ينبغي أن نبرزه هنا هو أن بين الشعوب الإسلامية وحدة لا تهزم وصلة لا يمكن تفكيكها، ورابطة يستحيل حلها مادام في العربية كتاب لا يختلف في نطق حرف واحد منه اثنان، وهو يتلى آناء الليل وأطراف النهار بلسان عربي مبين.

4. تمتاز الثقافة الإسلامية بأن الدين مصدر القيم فيها وليس المجتمع أو الطبيعة أو الفرد أو غير ذلك من مصادر القيم كما ترى الفلسفات المختلفة وكما يعتقد المفكرون الغربيون.

5. وتمتاز الثقافة الإسلامية أخيرا بالشمول

فهي تتناول حياة الإنسان في كل نواحيها، ظاهرها وباطنها، إن أعظم ما تتميز به الثقافة الإسلامية قدرتها على العطاء في أي جانب من جوانب الحياة.

وبالرغم من امتلاك الثقافة الإسلامية كل تلك المقومات إلا أن التوصيفات العلمية الدقيقة تقتضي التسليم بأن هناك معضلة ثقافية وفكرية في العالم الإسلامي، وذلك نظرا لأسباب متعددة، هذه الإشكالية ينتج عنها أن الحالة الثقافية الراهنة في البلدان الإسلامية يعتريها الكثير من مظاهر الضعف أمام محاولات الاختراق والهيمنة والغزو، ذلك لأن فضاءنا الثقافي به الكثير من مساحات الفراغ الذي يسمح للآخرين بأن يتمددوا به.

يقول الشيخ محمد الغزالي: إن هناك فراغا حقيقيا في النفس الإسلامية المعاصرة، لأن تصورها للإسلام طفولي، وسطحي، يستقي من عهود الاضمحلال العقلي في تاريخنا، وكأن بينه وبين عهود الازدهار ترة، إنني من منطلق إسلامي أرفض التبعية النفسية للآخرين، ولكنني من هذا المنطلق نفسه أرفض التصورات الإسلامية للحياة، أعني التصورات التي ينسبها البعض للإسلام، وهي عند التأمل خيالات مرضى وقاصرين.

إذن هناك بعض الخلل في الواقع الثقافي للمجتمعات الإسلامية، ربما مرده إلى مسألة الهوية، فلا يمكن الادعاء بأن الهوية الإسلامية هي العنصر الحاكم في المناشط الثقافية في بلدان العالم الإسلامي، بل هناك العديد من الهويات المتجاذبة والمتصارعة حينا والمتقاربة حينا آخر.

هناك الهوية العربية والإسلامية التي تلتقي وتفترق في بعض السمات، وهناك الهويات ذات المرجعيات الغربية التي هي بدورها قد تلتقي وتفترق مع الهوية الإسلامية، فهناك الهوية الليبرالية الحداثية، والهوية الاشتراكية، وغيرها من الهويات أو المرجعيات التي تعيش في مجتمعاتنا حتى وإن لم تتصدر مشهد الهوية في مجتمعاتنا.

وتواجه الهوية الإسلامية عدة تحديات، منها تحدي الاجتياح العولمي الراغب في توحيد الأطر الثقافية لبني البشر جميعا، هي الرياح العاتية التي يمكن أن تقتلع كثير من الخصوصيات الثقافية من جذورها، وهنا يبرز الفارق بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات، حيث أن الثقافة الإسلامية محصنة ضد الاقتلاع، مستمدة قوتها من العقيدة التي تنتسب إليها، وإلى المقومات التي ترتكز عليها.

وحين قال المهاتما غاندي (يجب أن أفتح نوافذي على كل الثقافات شريطة أن لا تقتلعني من جذوري) فإنه يلخص ما ينبغي أن تكون عليه العلاقة الشائكة بين أي ثقافة والثقافات الأخرى، لذا لابد أن يوازن العالم الإسلامي بين الانفتاح على الثقافات الأخرى والاعتزاز بالثقافة الإسلامية، حتى لا يتعرض المجتمع الإسلامي إلى الانغلاق والجمود، أو الذوبان والاقتلاع.

لكن المقومات الثقافية والقيم الحضارية التي تشكل رصيدنا التاريخي لن تغني ولن تنفع بالقدر المطلوب والمؤثر والفاعل في مواجهة العولمة الثقافية، ما دامت أوضاع العالم الإسلامي على ما هي عليه، في المستوى الذي لا يستجيب لطموح الأمة، ولا ينبغي أن نستنكف عن هذه الحقيقة، لأن في إخفائها والتستر عليها من الخطر على حاضر العالم الإسلامي ومستقبله ما يزيد من تفاقم الأزمة المركبة التي تعيشها معظم البلدان الإسلامية على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية.

إن الواقع الثقافي للأمة الإسلامية يعتريه الكثير من الضعف لأسباب متعددة، بعضها داخلي يتعلق بالأوضاع السائدة في المجتمعات الإسلامية، كانتشار معدلات الفقر (ثلث المسلمين في العالم يعيشون تحت مستوى خط الفقر أي يقل دخلهم سنويا عن 300 دولار أمريكي)، والضعف السياسي (مثل النزاعات والحروب والصراعات في كثير من الأقطار الإسلامية) وبعضها خارجي يتعلق بالأخطار والتحديات الزاحفة إلينا، وأبرزها العولمة، والغزو الثقافي والفكري.

الأزمة الثقافية: مظاهرها، وتحدياتها

هل يمكن إطلاق وصف الأزمة على واقعنا الثقافي؟ وهل نعيش واقعا ثقافيا مأزوما؟ ذلك هو التساؤل الذي أحاول تلمس الإجابة عنه.

الأزمة هي موقف وحالة يواجهها المجتمع أومتخذ القرار في أحد الكيانات الإدارية (الأمة، الدولة، المؤسسة، المشروع، الأسرة) تتلاحق فيها الأحداث وتتشابك معها الأسباب بالنتائج، ويفقد معها متخذ القرار قدرته على السيطرة عليها، أو على اتجاهاتها المستقبلية.

وهناك علم مستقل بذاته يسمى علم إدارة الأزمات، لكنه مخصص للأزمات التي تقع في مجال الإدارة لشركة أو مؤسسة أو وزارة أو هيئة، أما إدارة أزمة المجتمع الكبير، أ، الأمة بمفهومها الواسع فيتصدى لها بعض المفكرين، يقدمون بعض الإسهامات الفكرية دون تنظيم لهذه الجهود، أو التنسيق بين عناصرها، أو متابعة تنفيذ خططها المرحلية التكتيكية منها والاستراتيجية .

مظاهر التحدي في وجه الثقافة الإسلامية:

من هذه المظاهر:

1- الهجوم على القرآن والسنة:

وذلك بالطعن فيهما من جهات متعددة منها:

- من جهة مصدرهما الإلهي: فالتشكيك في هذه المصدرية الربانية، ونفي النبوة والرسالة واعتبار القرآن والسنة ليسا وحيا، وإنما هما مجرد تأليفات فكرية - كبقية التأليفات البشرية - أبدعها محمد "العبقري" وليس محمد الرسول والنبي، إنما القصد منها التمهيد للقول ببشرية الوحي ونسبيته الزمانية والمكانية، ومن ثم التمكن من تجاوزه كما يتم تجاوز كل ما هو بشري تاريخي!.

- من جهة صلاحيتهما لكل زمان ومكان: ذلك أن كثيراً ممن أقر بربانية القرآن والسنة شك في صلاحيتهما للإنسان على الدوام، وحاول الكثير من هؤلاء ربط الأحكام الشرعية بأسباب نزول الآيات وأسباب ورود الأحاديث؛ بقصد الوصول إلى ربط هذين الأصلين بالظرفية التاريخية والاجتماعية

التي أنتجتهما، حتى إذا ما تغير التاريخ والمجتمع أمكن القول معه بوجوب تغيير هذه الأحكام، ووجوب الاجتهاد خارج دائرتهما، فيتم التحلل من الشريعة الإسلامية والتخلص منها بطرق عقلية في الظاهر وهي في الأصل أبعد من العقل، إذ العقل الصريح ما كان أبدا مخالفا ولا مناقضا للنقل الصحيح، بل مؤيد له على الدوام ومحتاج إليه باستمرار، ولم يثبت أبدا أن العقـــل البشري بإمكانه الاستقلال عن تسديدات الشرع الإلهي.

2- الهجوم على التراث الإسلامي:

من حيث هو ذلك الموروث الديني الذي ورثه المسلمون عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومن بعده من الصحابة والتابعين وكل المخلصين، وبذلك يمكن القول إن التراث الإسلامي يتضمن جانبين: جانب الوحي، وجانب المجهود الإنساني الخالص والمخلص لفهم هذا الوحي على أسسه الشرعية وقواعده العلمية، والذي أثمر تلك العلوم الإسلامية التي شكلت النواة الصلبة لميلاد الثقافة الإسلامية وتجذرها اجتماعيا واستمرارها تاريخيا، وتركز الطعن في هذا التراث في القول بنسبيته الزمانية والاجتماعية، وارتباطه بعوامل تاريخية أفرزته، دون التمييز في هذا التراث بين ما هو إلهي المصدر كالقرآن والسنة، وبين ما هو بشري المصدر كسائر ما أنتجه المسلمون في تفاعلهم المزدوج مع الوحي الإلهي والواقع البشري.

4- الهجوم على اللغة العربية:

وهو هجوم قديم ازدادت حدته مع سقوط العالم الإسلامي في يد الدول المستعمرة، وتأجيج الحركات الانفصالية العرقية والقوميات الضيقة، ودعم اللهجات المحلية وتطعيمها بطابع الحقد والصراع، وتشجيع اللهجات العربية العامية من أجل القضاء على اللغة العربية الفصحى، وليس هذا فحسب بل تم تشجيع تعليم اللغات الأجنبية ودعمه بكل الوسائل والإمكانات وأصبحت هذه اللغات وسيلة للترقي الاجتماعي في البلدان العربية والإسلامية

5- الهجوم على المؤسسات الثقافية والرموز الثقافية:

تعتبر المؤسسات الثقافية الوسائل التي بها تحافظ الثقافة على وجودها واستمرارها، وتضمن بواسطتها صياغة نفسها بشكل يتناسب مع التغيرات والتطورات الزمانية والاجتماعية.

ومن أبرز المؤسسات الثقافية في هذا المجال، والتي تم توجيه السهام إليها مايلي:

- مؤسسة الأسرة:

فهذه الأخيرة تم اختراقها وتغيير مفاهيمها، ابتداء من بنيتها إلى وظائفها فمكوناتها فعلاقاتها، فتغيرت مفاهيم الأبوة والأمومة والبنوة والزوجية، وتغيرت معها الوظائف والأدوار والمسؤوليات، وتغيرت مفاهيم الحقوق والواجبات داخل هذه المؤسسة، ولم تعد الأسرة مسؤولة عن تربية الأجيال وإكسابهم ثقافتهم وقيمها الفكرية والفنية والسلوكية، وإنما أصبحت تتدخل في هذه التربية جهات اتخذت من نفسها شريكا للأسرة في التنشئة الثقافية بمنظور يختلف، كالإعلام والمدرسة والجمعيات والأندية الرياضية وجماعات الأصدقاء، كما عمدت بعض المنظمات الدولية لمحاولة إجبار كافة الدول ومنها البلدان الإسلامية على تنميط مفهوم الأسرة وفقا للمفهوم الغربي الليبرالي، وذلك من خلال عدد من المنظمات والاتفاقات الدولية، لعل آخرها اتفاقية (سيداو).

- المؤسسة التعليمية:

شكلت المؤسسات التعليمية أهم القنوات التي تمر منها الثقافة إلى الأجيال اللاحقة، وقد تم تركيز الاهتمام عليها بتغريب مضامينها ومناهجها الإسلامية وتغييب مقاصدها الحقيقية.

فحادت كثير من المؤسسات التعليمية عن رسالتها التربوية والتوجيهية.

- المؤسسة العلمية والدينية:

وجهت لهذه المؤسسة ولهذه الرموز طعنات قاتلة، تمثلت في فصلهم عن الحياة الاجتماعية وعن قيادة الجماهير، كما تم تقزيم سلطتهم إلى أقصى الحدود، حتى صار الناس لا يعرفون عن هذه المؤسسة و لا عن رموزها شيئا، فكانت الطعنة خطيرة؛ لأنها توجهت لجهاز المناعة في الجسم الثقافي للأمة.

- الغزو الفكري:

إن الغزو الفكري هو محاولة للسيطرة على العقول بالطرق غير العسكرية لتحقيق مجموعة من الأهداف، يأتي على رأسها إضعاف الثقافة المحلية، وفقدان الأمة للثقة في مقدراتها وإمكاناتها، وهو أخطر بكثير من الغزو المسلح، فالأخير ظاهر للعيان، ويمكن مواجهته بوسائل المقاومة المختلفة في الميدان، أما الغزو الفكري أو الثقافي فيدخل بلادنا بأسماء براقة، قد يكون منها الحداثة، والتمدن، ويجهل خطره الكثيرون.

- العولمة:

والعولمة هي ظاهرة حديثة نسبيا تشير إلي محاولات تصغير العالم ودمجه، من خلال التقليل من أهمية الحدود الجغرافية والسياسية، وتتيح إمكانية الاتصال والتواصل بين الأفراد والمجتمعات، نشأت في مجال الاقتصاد وتعدته إلي المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية، وساعد علي انتشارها ثورة تكنولوجية واجتماعية ورغبة سياسية، وتمثل في أحد جوانبها – في الوقت الراهن علي الأقل – هيمنة للقيم الغربية بصفة عامة، والأمريكية بصفة خاصة.

وكما تنطوي العولمة على الكثير من المخاطر على الثقافة الإسلامية إلا أنها تحتوي أيضا على الكثير من الفرص التي يمكن من خلالها أن تقدم الثقافة الإسلامية إلى العالم، وذلك إن أحسن المسلمون استغلال كل الإمكانيات التي تنطوي عليها العولمة.

الإعلام والأزمة الثقافية في بلدان العالم الإسلامي

الإعلام في الأصل هو تزويد الجماهير بالمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم في تكوين رأي عام صائب في قضية من القضايا أو واقعة من الوقائع، لكن الناظر في حال وسائل الإعلام في العصر الراهن يدرك أن هناك بعض تلك الوسائل تزود الجماهير بمعلومات غير صحيحة إما تهاونا في مسألة التحقق من المصدر، مع أن الله تعالى يشدد على مسألة التثبت في نقل الأخبار، وتبين الصحيح من غير الصحيح منها، وذلك في قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

وإما تقوم بعض وسائل الإعلام بنشر المعلومات غير الصحيحة عن قصد وتدبير ووفق استراتيجيات مسبقة يتم التخطيط لها، ورصد الميزانيات الضخمة لتمويلها.

وبالتالي يختلف الأثر المرجو من التعرض لوسائل الإعلام، فبدلا من التنوير يحدث التضليل والتزييف للرأي العام، وقد يؤدي ذلك إلى الانسلاخ عن جذور الثقافة السائدة في المجتمع، فتكون عاملا من عوامل إحداث الأزمة الثقافية بدلا من أن تكون أداة من أدوات ازدهار ونماء الثقافة في المجتمع .

والتسليم بوجود أزمة ثقافية في المجتمعات الإسلامية في العصر الراهن لا يعني أن وسائل الإعلام وحدها هي المتسببة في إحداثها، لكن عوامل متعددة أحدثت هذه الأزمة، بعضها سياسي، والآخر اقتصادي، واجتماعي، وبعضها كذلك يرجع إلى الأداء السلبي لوسائل الإعلام، وتأثيراته السلبية علي ثقافة المجتمع.

وسوف أستعرض فيما يلي الأنماط المتعددة لوسائل الإعلام، مقترنا بمكمن الخطورة في كل:

أولا: الصحافة: كانت الصحافة أولى وسائل الإعلام الجماهيرية ظهورا، وقد تطورت بشكل كبير، وظهرت الصحافة الإلكترونية التي تتسم بالتفاعلية والفورية والعمق المعرفي، وبالرغم من ذلك فإن المشهد الصحفي في بلدان العالم الإسلامي يتسم بما يلي:

1. غالبية الأخبار المنشورة في الصحف في العالم الإسلامي غربية المصدر، حيث أن سوق الأخبار عالميا تسيطر عليه أربع وكالات عالمية تتحكم في تدفق الأخبار حول العالم، وهي

- وكالة رويترز البريطانية
- وكالة الأنباء الفرنسية Agency France Press (AFP)
- وكالة الأسوشيتدبرس الأمريكية Associated Press (AP)
- وكالة يونايتد برس إنترناشيونال الأمريكية United Press International (UPI)

وكنتيجة لذلك نجد الكثير من المفاهيم الخاطئة التي تنقلها الصحف من هذه الوكالات، كلصق الإرهاب بالإسلام، وغيرها من تبديل المفاهيم كوصف دولة الاحتلال الإسرائيلي بالديمقراطية، وشرعنة الممارسات العسكرية الغربية والأمريكية منها بشكل خاص في البلدان الإسلامية.

1. غياب أو قلة المضمون الصحفي الذي يهدف إلى تنمية المجتمعات الإسلامية، والارتقاء بها، في مقابل نقل الأخبار التي تهتم بها الصحف الغربية، كأخبار ممثلات وممثلي السينما الغربية، التي تمتلئ بها صفحات الصحف التي تصدر في بلدان العالم الإسلامي.

2. ضعف الهياكل التمويلية والإدارية لكثير من المؤسسات الصحفية التي تصدر في العالم الإسلامي، وبالتالي عدم قدرتها على منافسة المؤسسات الصحفية الغربية العملاقة، التي يمتلك بعضها شبكة مراسلين في معظم دول العالم .

3. انخراط كثير من الصحف التي تصدر في العالم الإسلامي – بقصد أو دون قصد – في نقل وترجمة الأخبار التي تسوق للصورة الذهنية الإيجابية للغرب، مثل الأخبار الخفيفة التي لا تخلو الصفحات الأخيرة منها، والتي قد تتمحور حول اهتمام المجتمعات الغربية بالحيوانات وجمعيات الرفق به، أو نشر بعض نتائج الدراسات العلمية التي تتعلق بمناحي الحياة المختلفة.

4. جنوح بعض الصحف في بلدان العالم الإسلامي إلى اعتماد أسلوب الإثارة في عرض الموضوعات والمضامين الصحفية، التي تدور حول

الفضائح والجنس والثروة، وبالرغم من عدم توفر صحف إباحية صريحة مرخصة في البلدان الإسلامية إلا أن كثيرا من الصحف والمجلات الغربية التي تعتمد على الإثارة توزع في بلادنا بشكلها الورقي، فضلا عن إتاحة مضمونها في مواقعها الإلكترونية، كما أن أكبر دولة إسلامية في العالم (أندونيسيا) سمحت لمجلة بلاي بوي الجنسية الأمريكية بطباعة نسخة أندونيسية من المجلة المذكورة وتوزيعها في الأسواق الأندونيسية !

ثانيا: الإعلام المسموع والمرئي في العالم الإسلامي والأزمة الثقافية:

شهد الإعلام المسموع والمرئي (الراديو والتليفزيون) تطورا مذهلا خلال العقد الأخير من القرن العشرين وحتى الآن، وانتشرت الأقمار الصناعية لتحمل مئات وآلاف القنوات الإذاعية التليفزيونية التي تشغل حيزنا الإعلامي، وكان من المفترض أن يتواكب مع انتشار القنوات الإذاعية والتليفزيونية ازدهارا ثقافيا ومعرفيا في بلدان العالم الإسلامي، لكن كثيرا من الباحثين والكتاب يوجهون سهام النقد لهذا القطاع الإعلامي أن عليه الوزر الأكبر في إحداث الأزمات الثقافية في بلادنا، وانطلاقا من ذلك فإن أبرز ملامح المشهد الإعلامي السمعي البصري السلبية ما يلي:

1. إشكالية الاختلال في التبادل الإخباري كما في الصحافة، حيث أن الوارد إلينا من الغرب أكثر بكثير من الوارد إليهم عنا ومنا، وبالتالي اعتماد نشرات الأخبار على الأخبار الواردة من الوكالات والمصادر الغربية التي تتضمن رؤيتهم لتلك الأحداث وفق معاييرهم الخاصة بهم، وفي بعض الأحيان تنقل وسائل إعلامنا ما يدور في بعض بلدان العالم الإسلامي عن الوسائل الغربية.

2. إشكالية بث ساعات مطولة للأعمال البرامجية والدرامية الغربية، أو ترجمتها إلى اللغة المحلية بعد شراء حقوق البث من المؤسسات المنتجة لها في الغرب، وبعض هذه المضامين إما تحمل ألفاظا شركية كإطلاق اسم الإله على بعض القوى الخارقة في العمل الدرامي، أو تدعو إلى قيم منافية للقيم الإسلامية بشكل فج، وخاصة برامج الأطفال، حيث يدعو بعضها إلى حرية العلاقة بين الجنسين، ويروج الآخر لزنا المحارم، أو على الأقل تدعو لاعتناق بعض القيم السلبية، مثل قيم المكر والخداع كما في حلقات (توم وجيري) المخصصة للأطفال.

3. إشكالية محاكاة البرامج الغربية التي تتعارض مع القيم والثقافة الإسلامية، حيث تعج بعض قنواتنا باالبرامج الأمريكية التي تدعو إلى العنف والجنس، أو تقوم بعض المؤسسات الإعلامية في البلدان الإسلامية بإنتاج نسخة عربيية من برنامج غربي، كبرامج اكتشاف المواهب الغنائية، أو اكتشاف الراقصين والراقصات، أو برامج تليفزيون الواقع التي تقوم على التصوير الحي والمباشر لعدد من الشبان والفتيات الذين يسكنون في مكان واحد، ونقل علاقاتهم العاطفية وربما الجنسية عبر هذه البرامج.

وتعتبر هذه البرامج من أخطر ما يهدد القيم الإسلامية والتربوية في مجتمعاتنا، حيث أنها تعمل على الإضرار بالثقافة السائدة، وتجميل بعض الممارسات الغربية المتنافية مع قيم ديننا الحنيف، ومع ثقافتنا الإسلامية والعربية، وبمرور الوقت تكرس هذه النوعية من البرامج لقيم دخيلة على مجتمعاتنا، وتدعم في أذهان البعض أن هذه الممارسات غير مستهجنة وغير مستقبحة، بل وينتمي أصحابها إلى الفكر المتحرر وإلى التحضر والتمدن.

4. إشكالية الإعلانات التجارية المنتشرة بكثافة في المحطات الإذاعية والتليفزيونية، والتي يروج معظمها للسلع الاستهلاكية، فتساهم هذه الإعلانات التي تقوم عليها صناعة الإعلام في تحويل المجتمعات المسلمة إلى مجتمعات مستهلكة لا منتجة، معتمدة على

عناصر الجذب والتشويق والإبهار والمبالغة لإقناع الجماهير بشراء السلعة أو الخدمة المعلن عنها، كما أن بعض هذه الإعلانات يتجاوز المبالغة إلى الكذب، وبعضها الآخر يمتهن المرأة جسديا بغرض الترويج لبعض المنتجات، فضلا عن احتواء البعض الآخر على مشاهد تتصادم مع القيم السائدة في بلدان العالم الإسلامي.

ثالثا: شبكة الإنترنت:

أحدث ظهور شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ثورة معرفية في مجال الاتصال و الإعلام، وغيرت مفاهيم كثيرة تتصل بالعملياتالاتصالية التي تحدث في المجتمع،وصارت علامة بارزة للعصر الذي نعيشه، حيث اقترنت به كأهم سمات التطور التكنولوجي في تاريخ الإنسان، وصارت عبارة (عصر الإنترنت) توصيفا دقيقا لأهم منجزات العصر الحديث.

لقد غيرت شبكة الإنترنت العالم، إذ مثل ظهورها في أواخر الستينيات من القرن العشرين،ثورة أطاحت بالعديد من المفاهيم والنظريات التي ظلت قائمة لسنوات عديدة،.، ولا غرابة في أن تظهر بين الحين والآخر توقعات تشير إلى قرب انتهاء حضارة الورق لتحل محلها ما يمكن أن نسميه (حضارة الوسائط المتعددة والاتصال الجماهيري التفاعلي) .

ولا شك أن شبكة الإنترنت، بما تحويه من إمكانات هائلة، يمكن استثمارها في قضية الدعوة الإسلامية، وتبليغ الرسالة الخاتمة للعالمين بالحكمة والموعظة الحسنة، فهي أداة تواصل، ووسيط يحمل المضمون المراد تبليغه، مثلها مثل الأسواق والمهرجانات الشعرية قديما، فلو أن الإنترنت كانت موجودة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لما تردد في استخدامها هو وصحابته الكرام في دعوة العالم لهذا الدين الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور، لكن الأمر المؤكد أيضا أن شبكة الويب تنطوي على الكثير من المخاطر والإشكاليات ذات الصلة بالشأن الثقافي، ومنها:

1. إشكالية انتشار المضمون الإباحي على شبكة الإنترنت

إذ تبلغ عدد الصفحات الإباحية 4 مليون و200 ألف صفحة حول العالم، منها 100 ألف صفحة عن الأطفال، وأن عددا من الدول العربية تحتل المراتب الأولى عالميا من حيث تصفح المواقع الإباحية، ومن هذه الدول الإمارات، مصر، السعودية، البحرين، الكويت، وقطر.

ويمثل المضمون الإباحي التهديد الأخطر ليس فقط على المكون الثقافي في المجتمع بل يطال النسق القيمي والأخلاقي، ويدمر الوقت، ويقضي على العلاقات الاجتماعية، ويرسخ مفهوم الانفصام الثقافي (الشيزوفرينيا الثقافية) في المجتمعات

الإسلامية التي ينبغي تمثل القيم الإسلامية والأخلاقية السامية فيها وفق ما حث عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بينما تأتي أكثر الكلمات بحثا على الإنترنت في بعض البلدان الإسلامية (جنس) ومرادفاتها بالغات الأخرى.

2. إشكالية ضعف المضمون العربي على شبكة الإنترنت:

حيث يمثل المضمون العربي على شبكة الإنترنت 3% فقط من المحتوى المتوفر على الشبكة، بالرغم من أن اللغة العربية هي اللغة السادسة على مستوى العالم من حيث الانتشار، كما أصدرت شركة جوجل تقريرا ذكرت فيه أن إجمالي ما يقدمه العرب من محتوى إلكتروني في شبكة الويب يقل عن ما تقدمه دولة التشيك في أوربا التي لا يتجاوز عدد سكانها 12 مليون نسمة، وتمثل عملية إتاحة المعرفة مدخلا مهما للازدهار الثقافي والفكري، وذلك بالرغم من وجود مشروعات كبيرة مثل إتاحة الموسوعات العلمية المتوفرة باللغة العربية على شبكة الإنترنت.

3. إشكالية سهولة الإساءة لمقدسات ورموز الدين الإسلامي على شبكة الإنترنت :

تعج شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي بالعديد من الإساءات للدين الإسلامي، والقرآن الكريم، والرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم –، وهو ما قد يتسبب في عراك وعداء بين أتباع الثقافة الإسلامية والآخرين، حيث سهلت الشبكة العنكبوتية عمليات الإساءة والتخفي تحت أسماء وهمية أو مستعارة.

وترجع أسباب تعرض رموز الدين الإسلامي للإساءة للأسباب التالية:

1 - الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا) ونبيه، وتشير كلمة (الإسلاموفوبيا) إلى الخوف والهلع المبالغ فيهما وغير المبررين من الإسلام والمسلمين، وهي ظاهرة غربية المنشأ يتم الترويج لها بين الحين والآخر من قبل قادة الرأي وصانعي القرار في المؤسسات الغربية للترويج لصورة ذهنية نمطية وغير حقيقية عن الإسلام ونبي الإسلام والمسلمين ولتكون ذريعة للتحامل عليهم، وللضغط على الأقليات المسلمة في البلدان الغربية في مواجهة المد الإسلامي المتنامي في تلك المجتمعات بالرغم من كل محاولات النيل والتشهير بالدين الإسلامي ورموزه، وهي حقيقة يعترف بها من يؤمن بنظرية المؤامرة أو لا يؤمن بها، ويتعرف عليها كل راصد لتصريحات بعض المسئولين في الغرب، وبعض الممارسات والتدابير التي يتم من خلالها التضييق على الأقليات المسلمة، أو حتى التعرض لهم بالإيذاء المباشر أو غير المباشر.

وتلعب وسائل التواصل الاجتماعي – بمداخلها الإقناعية المتعددة – دورا هاما في الترسيخ لمفهوم الإسلاموفوبيا في المجتمعات الغربية، بحكم تأثيرها الكبير ودورها المتزايد في تلك المجتمعات، إلا أنه يمكن القول أن نفس الوسيلة الإعلامية يمكنها أن تضطلع بدور هام في صد هذه الهجمات من جانب المسلمين، وأن تتصدى لهذه الحملات التي تملأ وسائل الإعلام بين الفينة والأخرى من خلال توضيح الحقائق وإعادة رسم ملامح صورة المسلمين، وتوصيل صورة الإسلام الناصعة للعالم بالحكمة والموعظة الحسنة، وذلك للحد من آثار حملات الإسلاموفوبيا في الإعلام الغربي الذي يعتمد على الوسائل المستحدثة في الإعلام للترويج لهذه الحملات، موفرة بذلك غطاء للقطيعة والصدام الحضاري والثقافي بين أتباع الثقافات المتعددة.

2- الحقد على الإسلام: من أعدائه من اليهود والنصارى واللادينيين، وعدم رضائهم عن الإسلام ورسوله، وهذا ما سجله القرآن الكريم، حين قال تعالى مخاطبا نبيه – صلى الله عليه وسلم –:

(وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ)

ومن أبشع مظاهر حقد الغربيين على العرب والمسلمين، ما مارسوه ويمارسونه يومياً من مظاهر الظلم والاعتداء على حريّة الفرد العربي المسلم وكرامته، تلك الحرية التي كفلتها كل القوانين والشرائع الأرضية والسماوية، ولعل أبسطها، حرية العيش الآمن على أرض الوطن بدون ضغوطات أو تهديدات خارجية، وحرية اختيار طريقة الحياة ونظام الحكم بما ينسجم مع العقيدة والتراث العربي والإسلامي، وحرية الثقافة والكتابة والنقد وإبداء الرأي وتداول السلطة بصورة ديمقراطية سلمية، بدون أية عقد أو تداعيات أو مؤامرات، وأيا ما كانت لغة الخطاب عن موضوع حقد الغرب على الشرق، أو حقد غير المسلمين على الإسلام ورموزه ونبيه – صلى الله عليه وسلم – وتنوعها ما بين مغال مفرط في تمثل نظرية المؤامرة، وما بين من يتناولها ويوصفها بشكل معتدل فإن هذا الحقد ثابت، وتعد الإساءة لرسول الله وللقرآن الكريم تنفيسا عن هذا الحقد وتعبيرا عنه.

3- العداوة الأزلية بين الحق والباطل، والخير والشر، والكفر والإيمان، فهما أبدا لا يلتقيان، وأول مظاهر العداوة بين الحق والباطل العداوة بين الإنسان والشيطان، حين رفض الأخير الانصياع لأمر الله بالسجود لآدم، و (قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لبَشَر خَلَقْتَهُ منْ صَلْصَال منْ حَمَإ مَسْنُون، قَالَ فَاخْرُجْ منْهَا فَإنَّكَ رَجيمٌ، وَإنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إلَى يَوْم الدِّين، قَالَ رَبِّ فَأَنْظرْني إلَى يَوْم يُبْعَثُونَ، قَالَ فَإنَّكَ منَ الْمُنْظَرينَ، إلَى يَوْم الْوَقْت الْمَعْلُوم، قَالَ رَبِّ بمَا أَغْوَيْتَني لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ في الأَرْض وَلأُغْوينَّهُمْ أَجْمَعينَ، إلاَّ عبَادَكَ منْهُمُ الْمُخْلَصينَ، قَالَ هَذَا صرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقيمٌ، إنَّ عبَادي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهمْ سُلْطَانٌ إلاَّ مَنْ اتَّبَعَكَ منَ الْغَاوينَ)

وهذا الصراع مستمر، ذو فصول، لن ينتهي إلى قيام الساعة، قال تعالى: (وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحدَةً وَ لا يَزَالُونَ مُخْتَلفينَ × إلا مَنْ رَحمَ رَبُّكَ وَ لذَلكَ خَلَقَهُمْ وَ تَمَّتْ كَلمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ منَ الْجنَّة وَ النَّاس أَجْمَعينَ)

4- الجهل بحقيقة الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –، والإنسان عدو ما يجهل، إذ يتلقى الكثيرون من غير المسلمين معلوماتهم عن الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم – من مناهج التعليم ووسائل الإعلام وغيرها من الوسائل التي تشير الدراسات إلى أنها ترسم صورة ذهنية معلوطة عن سماحة الإسلام ورقيه، ورفعة منظومته القيمية والأخلاقية، والدليل على ذلك أن الذين يطلعون على المصادر الصحيحة عن الإسلام والرسول، ويتجردون عن الأهواء، ثم يقومون بدراسة موضوعية عن النبي ودينه، يصل في كثير من الأحيان إلى مرحلة الإكبار لهذا الرسول العظيم، أو إلى ما هو أبعد من ذلك، وهو الإيمان بأنه نبي هذا الزمان واتباع دينه.

دور الإعلام في الخروج من الأزمة الثقافية :

للإعلام تأثير كبير في المجتمعات، وكما أنه قد يكون سببا في إحداث تأثيرات سلبية تضر بقيم المجتمع وتقاليده، وتنال من الثقافة العامة السائدة فيه بالتسطيح، أو التغريب، أو التأزيم، فيمكنه كذلك أن يكون أداة بناء ترمم ما تآكل من القيم، وتحث على التمسك بالهوية الإسلامية المائزة في العالم الإسلامي، وقد ذكر الله تعالى دور وتأثير كل من الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة، حيث قال:

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَة طَيِّبَة أَصْلُهَا ثَابتٌ وَفَرْعُهَا في السَّمَاء، تُؤْتي أُكُلَهَا كُلَّ حين بإذْن رَبِّهَا وَيَضْربُ اللَّهُ الأَمْثَالَ للنَّاس لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثَلُ كَلمَة خَبيثَة كَشَجَرَة خَبيثَة اجْتُثَّتْ من فَوْق الأَرْض مَا لَهَا من قَرَار، يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا بالْقَوْل الثَّابت في الْحَيَاة الدُّنْيَا وَفي الآخرَة وَيُضلُّ اللَّهُ الظَّالمينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ).

ولابد أن نسلم أنه من الظلم أن تتحمل وسائل الإعلام وحدها مسئولية الوصول للأزمة الثقافية في بلدان العالم الإسلامي، فما هي إلا نتاج لتفاعلاته،

ومخرج من مخرجاته، ومع ذلك فإننا نقدم هذه المقترحات لوسائل الإعلام على اختلاف أنواعها للمساهمة في إحياء الهوية الثقافية، وللتقليل من الآثار السلبية على ثقافة المجتمع، وليس المقصود بوسائل الإعلام هنا ما تعارف الباحثون على تسميته ب (الإعلام الإسلامي) الذي ينصرف إلى بضع صحف تطلق على نفسها صحفا إسلامية، وعشرات القنوات الفضائية والأرضية الإذاعية والتليفزيونية التي يطلق عليها (القنوات الدينية) بل لابد من ميثاق شرف تلتزم به كافة الوسائط الإعلامية التي تسبح في فضاء الدول الإسلامية، حتى لا يبني فرد هنا، ليقوم العشرات بهدم ما تم بناؤه كالتي نقضت غزلها.

ومن هذه الإجراءات ما يلي :

أولا: العمل على إصلاح الهياكل الإدارية والمالية للمؤسسات الإعلامية في البلدان الإسلامية، والاتجاه نحو تطوير هذه المؤسسات بما يضمن لها الاستقلالية في استقاء الأخبار والمعلومات، من خلال شبكة المراسلين والمندوبين المنتمين لهذه المؤسسات، بغية تقليل الاعتماد على المؤسسات الإعلامية الغربية في استقاء المعلومات والأخبار، للحد من ظاهرة الاختلال في التدفق الإعلامي لصالح الشمال على حساب الجنوب.

ثانيا: ضرورة الحفاظ على الهوية الإسلامية في وسائل إعلامنا، وليس بالضرورة أن يكون ذلك بكثرة الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم، أو الأحاديث النبوية الشريفة، ولكنه بتمثل القيم الإسلامية في المظهر، وفي تحري الدقة والصدق، وتجنب الخداع والكذب والمراوغة، والتحلي بالمسئولية حين تقديم المضامين الإعلامية المختلفة.

ثالثا: ضرورة أن تتبنى وسائل الإعلام في البلدان الإسلامية قضايا التنمية، حيث أكدت عدة دراسات أجراها علماء الاتصال على وجود علاقة إيجابية بين الإعلام والتنمية منها الدراسة التي أجراها ولبر شرام على مائة دولة من الدول النامية لإلقاء الضوء على العلاقة بين الاتصال الجماهيري والتنمية حيث توصل إلى أن معامل الارتباط بين النشاط التنفيذي لوسائل الإعلام وبين نتائج تنفيذ خطط التنمية قد وصل إلى 72٪، وقد يكون أعلى من ذلك لوجود مجموعة من العوامل السلبية التي تحول دون تنفيذ

الخطط في كل من التخطيط الإعلامي والتخطيط للتنمية بالدقة المطلوبة وبالتالي فإن هذه العوامل السلبية قد أضعفت مستوى الارتباط وقللت درجته على 72 ٪، ومن جملة القضايا التي ترتبط بالتنمية، تنمية الثقافة الخاصة بالمجتمعات الإسلامية

رابعا: ضرورة الاهتمام بالمشاريع الثقافية التي تهدف إلى زيادة المحتوى العربي على شبكة الإنترنت، حيث أن المحتوى العربي فقط من التراث وكتب ومؤلفات السابقين كفيلة بأن تزيد كثيرا نسبة الوجود العربي على الشبكة العنكبوتية الدولية، كما ينبغي تشجيع المبادرات العربية لزيادة المحتوى الجيد في الشبكة.

خامسا: ضرورة الاهتمام بالمؤسسات الداعمة للفكر والثقافة في المجتمع، وتسليط الأضواء الإعلامية عليها، لشرح وتحليل ما تقدمه لنماء المجتمع ثقافيا ومعرفيا، بدلا من تصدر المغنيين والممثلين والرياضيين صدارة المشهد الإعلامي، وضرورة تقديم النماذج الناجحة والجيدة للشباب والنشء، وتعزيز قيم العمل والنجاح والعلم والابتكار والإبداع.

سادسا: قيام العديد من منظمات المجتمع المدني بوضع تقارير دورية عن مدى التزام المؤسسات الإعلامية بضوابط العمل الإعلامي، ونشر قائمة بالصحف والمحطات الإذاعية والتليفزيونية التي انتهكت هذه الضوابط ليكون خصما من رصيدها لدى الجماهير.

سابعا: تجريم المواقع والصحف الإباحية، ومنع الولوج لها أو توزيعها داخل بلدان العالم الإسلامي، لتعارض ذلك مع القيم والثقافة الإسلامية، التي ترفض امتهان الجسد الآدمي، وتحويل البشر إلى مخلوقات تحركها الغرائز الجنسية.

ثامنا: وضع آلية خاصة لمراقبة الإعلانات التجارية من قبل المجتمع المدني ومنظماته المختلفة، حتى لا تتعرض المرأة للامتهان الجسدي على يد أباطرة الإعلانات، أو يتم استغلال بعض فئات المجتمع لتحقيق مكاسب مادية.

النتائج العامة للدراسة

استهدفت هذه الدراسة البحث في إشكالية العلاقة بين كل من الإعلام والثقافة، والتعرف على التأثير المتبادل بينهما، وكذلك التعرف على حقيقة اتهام الإعلام بقنواته الفضائية وصحفه ومحطاته وكذلك الإعلام الإلكتروني أو الإعلام الجديد في الإسهام في خلق أزمة ثقافية في بلدان العالم الإسلامي، ومن ثم التعرف على الأدوار الإيجابية التي يمكن أن يؤديها الإعلام للخروج من الأزمة الثقافية والمساهمة في التنمية الثقافية في بلدان العالم الإسلامي.

وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج الهامة، منها:

أولا: أن الأمة الإسلامية تمتلك تراثا ثقافيا غنيا خصبا يستمد ثراءه من الدين الذي تستلهم منه القيم الأصيلة، وإن أعظم ما تتميز به الثقافة الإسلامية قدرتها على العطاء في أي جانب من جوانب الحياة.

ثانيا: إن هناك معضلة ثقافية وفكرية في العالم الإسلامي، وإن الحالة الثقافية الراهنة في البلدان الإسلامية يعتريها الكثير من مظاهر الضعف أمام محاولات الاختراق والهيمنة والغزو، ذلك لأن فضاءنا الثقافي به الكثير من مساحات الفراغ الذي يسمح للآخرين بأن يتمددوا به، بسبب ضعف إسهام المسلمين في الحضارة الحديثة المعاصرة.

ثالثا: إن أبرز التحديات الثقافية التي تواجه المسلمين الآن: تحدي الهوية، فالهوية الإسلامية غائبة عن كثير من مظاهر الحياة المعاصرة، وغائبة في الكثير من الوسائل الإعلامية التي تصدر أو تبث من بلاد المسلمين.

رابعا: بينت الدراسة أن عددا من التحديات التي تواجه مكونات الثقافة الإسلامية، منها الهجوم على

القرآن والسنة، والهجوم على التراث الإسلامي، وعلى اللغة العربية، بالإضافة إلى محاولات التغريب والغزو الفكري والثقافي وعولمة الثقافات، ومحاولة تنميطها في ثقافة واحدة، هي الثقافة الغربية.

خامسا: خلصت الدراسة إلى التسليم بوجود أزمة ثقافية في المجتمعات الإسلامية في العصر الراهن، وأن هناك عدة عوامل أسهمت في إحداثها، بعضها سياسي، والآخر اقتصادي، واجتماعي، وبعضها كذلك يرجع إلى الأداء السلبي لوسائل الإعلام، وتأثيراته السلبية علي ثقافة المجتمع.

سادسا: انتهت الدراسة إلى أن جانبا كبيرا من جوانب الأزمة الثقافية تسببت فيها بعض الممارسات الإعلامية، أبرزها الاعتماد على الوكالات الغربية في استقاء الأنباء والمعلومات، ونشر المواد المنتجة غربيا والتي تتضمن تسويقا للقيم الغربية المخالفة للثقافة الإسلامية، وكذلك محاكاة البرامج الأمريكية والأوربية في العالم الإسلامي والتي تنطوي على الكثير من القيم السلبية.

سابعا: أن كثيرا من الإعلانات بشكل عام، وخاصة التليفزيونية منها تمتهن المرأة جسديا، وتخالف الكثير من القيم الأخلاقية والأنساق الثقافية في الدول الإسلامية.

ثامنا: أن شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) بالرغم مما تحمله من إمكانيات هائلة لخدمة الثقافة الإسلامية إلا أن نسبة كبيرة من شباب العالم الإسلامي يوظفها بشكل خاطيء، وأن أبرز الإشكاليات الثقافية التي تحتوي عليها الإنترنت: انتشار المضمون الإباحي وضعف المحتوى العربي عليها، وسهولة الإساءة لرموز الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية.

تاسعا: أن وسائل الإعلام في العالم الإسلامي بإمكانها أن تضطلع بدور هام في إحداث نهضة ثقافية وفكرية بها، تبدأ من تبنيها للخطط التنموية والمستقبلية، مرورا بتقديم النماذج الناجحة في المجتمع الإسلامي، وانتهاء بالتعاون بينها وبين منظمات المجتمع المدني لوضع آلية محددة للالتزام بمواثيق الشرف الإعلامية والأخلاقية، بهدف الحفاظ على ثقافة المجتمع وثوابته.

توصيات الدراسة:

انطلاقا من النتائج السابقة توصي الدراسة بما يلي:

أولا: دعوة كافة الإعلاميين و المؤسسات الإعلامية في بلدان العالم الإسلامي العاملة في مجال الصحافة والراديو والتليفزيون والإنترنت للالتزام بأسس الثقافة الإسلامية، والحرص على تمثل ذلك في الشكل والمضمون معا.

ثانيا: ضرورة أن تتبنى وسائل الإعلام في بلدان العالم الإسلامي المشاريع الفكرية والثقافية، وتحشيد الطاقات البشرية لها، كما يجب عليها أن تتبنى المشاريع التنموية، حيث أنها القضية التي تبنى عليها كل نهضة ثقافية وفكرية.

ثالثا: ضرورة أن تقوم المنظمات الدولية والمحلية ذات الصلة بالشأن الثقافي بإصدار تقارير دورية، موضوعية وذات مصداقية، عن الحالة الإعلامية على أسس علمية ومهنية، وتحديد قوائم المؤسسات الإعلامية التي تسيء إلى أو تتجاوز الخط الثقافي للمجتمع الإسلامي، وكشفها أمام الرأي العام.

رابعا: تشجيع المبادرات الفردية والجماعية لزيادة المحتوى العربي الهادف على شبكة الإنترنت، وضرورة أن تتبنى المؤسسات الدولية والإقليمية والمحلية هذه المبادرات.

خامسا: إقامة العديد من المؤتمرات والندوات العلمية التي تحدد ملامح المشروع الثقافي والفكري الذي يمكن تطبيقه في البلدان الإسلامية، واستضافة الإعلاميين وكبار المستثمرين في مجال الإعلام إليها، للوقوف على مسئولياتهم تجاه الأمة التي ينتسبون إليها.

هوامش الدراسة

1 ـ سورة آل عمران، الآية رقم 110

2 ـ د وجيه المرسي، مقومات الثقافة الإسلامية، مقال منشور ومتاح في الرابط التالي:
kenanaonline.com/users/wageehelmorssi/posts/407123
تاريخ التصفح 25 مايو 2014م

3 ـ الشيخ محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا (القاهرة: دار الشروق، ص6

4 ـ د عبد العزيز عثمان التويجري، العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي، بحث منشور على موقع رابطة االعالم الإسلامي، متاح على الرابط التالي: http://
www.themwl.org/Bodies/Researches/default
تاريخ التصفح 25 مايو 2014م ص 17

5 ـ د الطيب بن المختار الوزاني، تحديات الثقافة الإسلامية ومهدداتها، مقال منشور في موقع الألوكة، متاح على الرابط التالي: http://www.alukah.net/Culture/0/9924/ ، تاريخ التصفح 25 مايو 2014م
المرجع السابق نفسه، بتصرف.

6 ـ د رضا عبد الواجد أمين، الإعلام والعولمة (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2007م) ص 56

7 ـ سورة الحجرات، الآية رقم 6

8 ـ البوابة: بلاي بوي تدخل أكبر دولة إسلامية، (فبراير 2006م)، ورابط الخبر على شبكة الإنترنت:
http://www.albawaba.com/ar

9 ـ د. حسني محمد نصر، الإنترنت والإعلام.. الصحافة الإلكترونية (العين: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2003) ص 13

10 ـ جوجل: المحتوى العربي على الإنترنت أقل مما تبثه دولة التشيك (2009م) متاح على الرابط التالي:
http://www.hrdiscussion.com/sitemap/t_6992.html

11 ـ سورة البقرة الآية 120

12 ـ د. فواز القاسم، الحقد الغربي على الإسلام، منشور في موقع العرب نيوز، ورابطه:
http://alarabnews.com/alshaab/2004/30_04_2004/4.htm
تاريخ التصفح 12_1_2013م

13 ـ سورة الحجر، الآيات (42_33)

14 ـ سورة هود، الآيتان 119_118

15 ـ د. رضا عبد الواجد أمين، الإساءة لنبي الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم – في وسائل التواصل الاجتماعي، وسبل مواجهتها، دراسة مقدمة إلى المؤتمر العالمي عن الرسول صلى الله عليه وسلم (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1434هـ ـ 2013م) ص ص 18_17

16 ـ سورة إبراهيم، الآيات 27_24

17 ـ فاطمة فيصل العتيبي، الإعلام والتعليم شركاء في التنمية، المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية (الرياض، 14 صفر، 1428هـ)

PROJECT
MANAGEMENT
TIME
COST
CONTROLLING
ENGINEERING
PROCESS
EDIT
PLAN
WORK
SYSTEMS
CHANGE

تصور مقترح لوقف نقدي يموِّل المشروعات الصغيرة للفقراء

د. نادية محمد السعيد الدمياطي

وقف النقود من المسائل القديمة الحديثة التي تناولها الفقهاء في كتبهم، وهو أن يقوم المتبرع بوقف مبلغ من النقود ليستفاد منه.. وقد أجازها مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته الخامسة عشرة في مسقط قرار رقم (١٥/١٦) ١٤٠.

أولاً: مبررات إنشاء وقف النقود لتمويل المشروعات الصغيرة للفقراء:

1. اختلاف أنماط الحياة في هذا العصر، وتنوع الخدمات التي تحتاجها المشاريع الصغيرة للفقراء، مما يستدعى التفكير في مشروعات وقفية تفي بهذه الخدمات المتنوعة.

2. أن غالبية الناس في المجتمعات المختلفة يعيشون حياة اقتصادية متوسطة أودون المتوسطة، بحيث لا يستطيعون الإسهام في الأوقاف مع أهميتها في المجتمع، ومع ما ترتب عليها من الفضائل. وفتح المجال لعامة الناس وغالبيتهم ممن ذكر، للمساهمة في مشروعات وقفية نافعة ولوبجزء يسير عن طريق المساهمة بما يستطيعون يفتح المجال لشريحة كبيرة جداً في المجتمع للإسهام في تمويل المشروعات الصغيرة للفقراء.

3. إن تبني مشروعات وقفية وطرحها لعامة الناس للاكتتاب يفتح الآفاق لإقامة مشروعات وقفية كبيرة تسهم اسهاماً فاعلاً في تمويل هذه المشروعات الصغيرة.

4. في هذه المشروعات وأمثالها إحياء لسنة الوقف بأساليب معاصرة يتقبلها الناس ويستطيعون الإسهام فيها بتمويلها.

5. إن الدول بدأت تفتح المجال للقطاعات الخاصة للإسهام في الكثير من مجالات الخدمات المختلفة كالكهرباء والاتصالات والتعليم والصحة.... وحيث إن القطاع الخاص – في الغالب – يبحث عن الربح والاستثمار، وليس كل فئات المجتمع يستطيع دفع رسوم هذه الخدمات إذا أسندت للقطاع الخاص، ففتح المجال لإنشاء مشروعات وقفية عن طريق الاكتتاب الميسر لكل واحد، يسهل القيام بهذه الخدمات أوببعضها لغير المستطيع.

6. تنظيم التبرعات الصغيرة المختلفة التي لا يمكن من خلالها إنشاء مشروعات ذات جدوى كبيرة في المجتمع، ولكن لها أثرها الواضح في تمويل المشروعات الصغيرة للفقراء.

7. إن إقامة هذه المشروعات على النحوالمطروح أبعد الباحثين عن مصالحهم الشخصية وتلاعبهم لأنه عن طريق إقامة هذه المشروعات الوقفية تسند النظارة على الوقف إلى مجلس يختار من المساهمين، ولا شك إن النظرة الجماعية ليست كالفردية.

ثانياً: فكرة الوقف النقدي المقترح لتمويل المشروعات الصغيرة للفقراء: إن لدى البشر جميعاً والمسلمين خصوصاً مخزون عظيم من الرغبة في عون الفقراء، ولكن تحول دون الوصول إلى هذا المخزون عقبات، فإذا استطعنا تذليلها جرت ينابيع الخير ما شاء الله أن تجري. والقرض الحسن خصوصاً والتمويل الخيري لمشروعات الفقراء عموماً، يتمنى كثير من الناس أن تتاح لهم فرصة المشاركة فيه،. لكن يمنعهم من ذلك عقبتان:

1. التكاليف. وهي ليست في طول الشخص العادي، سواء منها التكاليف الثابتة اللازمة لإنشاء الوقف أوالتكاليف الجارية الإدارية، أوالمهارات والوقت اللازم للتعرف على الجديرين بالتمويل وتمحيص طلباتهم ومتابعة إجراءات الصرف والتحصيل إلخ

2. خطر التوى (أي ضياع المال باصطلاح الفقهاء) أي عدم السداد لأي سبب.

والصيغة التي اقترحها معينة أساساً بتذليل هاتين العقبتين أمام الوف الناس من غير الأثرياء، ليتمكنوا من المشاركة في الوقف بلا كلفة ولا مخاطرة، ويساهموا في عون المشروعات الصغيرة للفقراء بالتمويل بأسلوب سهل مرن لا خطر فيه على مالهم، من خلال قرض حسن للوقف، يبقونه تحت الطلب كما هوالأصل في القرض، أويقدمونه لفترة محددة. ويضمن الوقف هذه القروض ويستخدمها لتمويل الفقراء الموقوف عليهم.

ثالثاً: أهداف الوقف النقدي المقترح لتمويل المشروعات الصغيرة للفقراء:

1. إن هدف الوقف المقترح هوتوفير التمويل الخيري، بصورة القرض الحسن وسواها من صور التمويل المباحة.

2. إن هدف تمويل المشروعات الصغيرة للفقراء ينسجم مع فكرة أن يكون الوقف المقترح نقوداً، لأنها الأصل الأهم في هذا الوقف، بينما الأصول المادية كالعقارات هي الأهم في الأوقاف عموماً.

3. بحث الفقهاء وقف النقود وأجازه بعضهم (الحنفية وبعض المالكية) فقبلوا وقف الدراهم للسلف مع رد بدلها، وكذلك أجازوا أن توقف الدراهم لتدفع مضاربة وما خرج من الربح يتصدق به في جهة الوقف.

4. إن الوقف النقدي الذي يساهم في تمويل المشروعات الصغيرة للفقراء يشمل نقوداً موقوفة لمدة محدودة، وهذا خلاف الأصل في أن يكون الوقف مؤبداً. لكن المالكية والحنابلة أجازوا التوقيت مدة معينة.

5. وحتى من لا يعد هذا وقفاً، لا يرتاب أنه عمل صالح حضت عليه الشريعة ووعدت عليه بالثواب الجزيل.

رابعاً: المستفيدون من تمويل الوقف النقدي المقترح:

الفقراء يحتاجون تمويلاً إنتاجياً لمشروعاتهم الصغيرة يستطيعون إعادته من دخلهم المتوقع. خاصةً وأنهم قادرون على الإنتاج لوأتيح لهم التمويل المناسب. ومثل هؤلاء يشملهم تعريف (المساكين) عند الأئمة الثلاثة غير الحنفية، فيجوز إعطاءهم من الزكاة، لكن المشاهد أن هؤلاء كثيرون في بلاد المسلمين ولا يتلقون من الزكاة ما يخرجهم من وهدة الفقر.

والوقف النقدي المقترح يستهدف معونة الفقراء بالتمويل لا بالزكاة. وهذا – في نظرنا – هوالأولى شرعاً وعقلاً، لأنه يساعد على توفير أموال الزكاة والصدقة (التي تقوم عليها جهات أخرى) لمن لا يمكن إسعافهم إلا بها وهم الفقراء العاجزون مالياً عن الاكتساب.

خامساً: إعتبارات لتمويل الوقف النقدي للمشروعات الصغيرة للفقراء:

لا بد من تحديد معنى التمويل الخيري، فهو ليس

مجرد تمويل بصيغة مقبولة شرعاً، لكنه فوق ذلك يراعي متلقى التمويل فيوفر له نفعاً لم يكن ليحصل عليه لوتم التعامل معه على أسس تجارية بحتة، والقرض الحسن هوتمويل خيري خالص. لكن أي تمويل بصيغة أخرى يمكن أن يعد خيرياً إذا قدم للفقراء بشروط أيسر بوضوح مما يقدم على أسس تجارية.

والملاحظ على المؤسسات المالية الإسلامية (وأشير إليها اختصاراً بالمؤسسات، وتشمل المصارف) أنها منذ نشوئها قبل نحوثلاثين عاماً إلى اليوم لم يشتهر عنها تقديم التمويل الخيري للفقراء، بل تغلب عليها بوضوح السمات التجارية، إلا في استبعادها الربا وسواه من المعاملات المالية المحرمة.

إن عدم تقديم هذه الصناعة للتمويل الخيري يراه الكثيرون حتى من محبيها نقداً محقاً. لكني مع تسليمي بوقوعه أراه انتقاداً في غير محله، وأرى أن هذه الصناعة معذورة في تحاشي التمويل الخيري، لثلاثة اعتبارات:

الأول: عملي ومؤقت، وهوأنها حتى سنين قريبة كانت صناعة ناشئة أكبر همها أن تستطيع العيش مالياً على أسس تجارية في إطار الحلال. وهذه القدرة على العيش كان الفكر التقليدي في شك منها مريب، يستوي فيه جمهور المصرفيين والاقتصاديون وصانعوالسياسات.

الثاني: اعتبار يتصل بالصيغ السائدة في تلك الصناعة لتقديم التمويل، والتي تؤول على اختلافها إلى المداينة لا المشاركة. والمعلوم بالتحليل الاقتصادي والتجربة العملية أن التمويل المبني على المداينة (سواء كان ربوياً أم بصيغ مباحة شرعاً) يحابي ذوي الثروة السابقة القادرين على تقديم ضمانات مالية وينساب إليهم عفوياً، ويُعرض عن الفقراء الذين لا ضمانات عندهم، حتى لوكانوا مستعدين لتحمل تكاليف التمويل بالمعدلات التجارية السائدة، أضف إلى ذلك ارتفاع التكاليف النسبية لتمويل الفقراء لضآلة مقادير التمويل مقارنة بتكاليفه الثابتة، مما يقلل الاهتمام بتمويلهم.

والثالث: هوحكم فقهي دائم يمنع المؤسسات المالية الإسلامية بصفتها (مضارباً) من تقديم التمويل الخيري!

إن المضارب عند سائر الفقهاء ممنوع بتاتاً من التصرفات المنطوية على التبرع. بل هوممنوع من أي تصرف لا يبتغي الربح كالقرض الحسن، أويتنازل عن بعض الربح بالمحاباة في الثمن أوفي الشروط، كالتمويل الخيري. والمنع الفقهي من التبرع يسري أيضاً على الصيغ الأخرى التي قد تتلقى بها المؤسسات الأموال، بصفة وكيل بالاستثمار أوشريك فيه، فالوكيل والشريك حينئذ ممنوعان من التبرع ومن أي تصرف لا يبتغي الربح.

هذا ما أكده الفقهاء حماية لحق الشريك في الشركة ورب المال في القراض. "لأن العامل لوأجزنا له التبرع أوالبيع بأقل من ثمن المثل لكان في ذلك افتئات على حق شريكه وذريعة إلى تضييع أموال الغير

والمبدأ الشرعي العام: أن من كان يتصرف في مال غيره بعقد – كالوكيل والشريك والمضارب – أوبولاية شرعية كولي اليتيم، لا يجوز له أن يتصرف إلا فيما هو في مصلحة ذلك الغير المالية. فلا يحق له أن يتبرع، ولا أن يبيع بأقل من سعر السوق أويشتري بأكثر، إن ما سبق لا يمنع التمويل الخيري، بل هويرشدنا أن ندخل البيوت من أبوابها فنطلب التصرفات التبرعية كالتمويل الخيري ممن يحق لهم التبرع شرعاً وهم حصراً أرباب المال الأصلاء، لا وكلاؤهم ولا شركاؤهم ولا المؤسسات المستثمرة لأموالهم.

سادساً: آليات تفعيل دور الوقف النقدي في تمويل وتنمية المشاريع الصغيرة للفقراء:

1. العمل على إنشاء وتعميم أوقاف نقدية متخصصة لتمويل المشاريع الصغيرة للفقراء. بواسطة تبرعات صغيرة (صكوك الوقف) والتي يمكن أن تخصص لإنشاء وقفيات تبعاً للأغراض التي يبتغيها الواقفون – وكذا التوسع في إصدار الصكوك الوقفية تمكيناً لذوي الدخل المحدود من إحياء سنة الوقف ونيل ثوابه بوقف ما يدخل تحت طاقتهم المالية ووضع الضوابط الشرعية لإصدار وتسويق وتداول واستثمار الصكوك الوقفية بما يزيد من ثقة الناس وإنفاق ريع كل وقف في مجال البر الذي يختاره المشاركون فيه والتنسيق بين الصناديق الوقفية وفيما بينها وبين المؤسسات ذات الصلة وفيما بينها وبين أجهزة الدولة المعينة وأن يكون الوقف أحد المصادر الرئيسة لتمويل الجمعيات الخيرية وسائر المنظمات غير الحكومية والاستغناء به عن الدعم الخارجي الذي لا يتلاءم مع مقاصدها.

2. إعداد وتنفيذ خطة إعلامية واسعة للتعريف والتوعية بأهمية الوقف بصفة عامة وأهمية هذه الأوقاف النقدية بصفة خاصة في تنمية وتمويل المشاريع الصغيرة للفقراء، من أجل ذلك فإن نشر هذا الوعي ليس بالضرورة قضية اقتصادية وحسب، بل هوضرورة إجتماعية وسياسية أيضاً تستهدف إعادة صياغة مفاهيم الأفراد واتجاهاتهم، إلا أن مشكلة خلق الوعي التوظيفي في هذه التبرعات يتطلب خطة قومية تقوم على أسس تربوية وإعلامية تغرس مفاهيم التكافل، وأهميته في التنمية لدى الأجيال الناشئة.

ويمكن أن تستند تلك الخطة الإعلامية إلى الأسس التالية:

1. نشر الوعي بين أفراد المجتمع عامة والموسرين خاصة وتعريفهم بأن الوقف قربة إلى الله تعالى وأنه من الصدقة الجارية. وإظهار الدور الرائد الذي أسهم به الوقف في تطور وتقدم المجتمع الإسلامي. ويكون ذلك من خلال:

- تفعيل وسائل الإعلام المختلفة المرئي منها والمقروءة والمسموع في هذا المجال.
- إصدار نشرات تعريفية توضح المجالات التي من الممكن مساهمة الوقف فيها.
- عقد اللقاءات والمؤتمرات بين فترة وأخرى، يتولى فيها علماء الفقه الإسلامي وعلماء التربية مناقشة هذا الموضوع وما يستجد فيه، وبحث الوسائل والسبل التي تسهل عملية الاستفادة من الأموال الوقفية في مجال خلق فرص العمل بصفة عامة وتمويل المشاريع الصغيرة للفقراء.

1. التعريف بالمجالات التي من الممكن أن يسهم الوقف فيها في تنمية المشاريع الصغيرة للفقراء سواءً كانت أوقاف لإنشاء مثل هذه المشاريع إما بتقديم المنشآت أوالأراضي الخاصة بها أوعمارتها أوتجهيزها وفرشها أو القيام بأوقاف على تقديم الأدوات أو المعدات اللازمة لممارسة نشاط صغير ما..

2. توسيع مفهوم الوقف لدى عامة الناس لكي لا ينحصر في بعض الأوجه التقليدية وبيان ما

قدمه الوقف قديماً وما يمكن أن يقدمه مستقبلاً في كافة مجـالات الحياة الاجتماعية للمسلمين في أمور دينهم ودنياهم.

3. تهيئة الفرص لجمهور المسلمين للوقف: لا شك أن بعض من أفراد المجتمع الإسلامي لا يتوافر لديهم الأموال الكثيرة والثروة التي تمكنهم من إنشاء الأوقاف المستقلة مثل المدارس والمستشفيات والمعاهد ... إلخ. إلا أنهم كسائر المسلمين في كل عصر ومصر يحبون فعل الخيرات، فلا بد من والحال هذه أن يتهيأ الوقف بطريقة تمكن لهم من جهة المساهمة بمبالغ قليلة تجتمع لتصبح كبيرة ومؤثرة، ومن جهة أخرى أن يساهموا مساهمات مستمرة عبر الزمن ومنتظمة كانتظام دخولهم من وظائفهم وأعمالهم لذلك فيجب وضع الإجـراءات واللوائح المنظمة لعملية الوقف في مجال تنمية وتمويل المشاريع الصغيرة للفقراء، بحيث تكون الصورة واضحة تماماً أمام الواقفين، مما يبصر الواقف عند إرادتـه الوقف في هـذا المجـال. خاصة وأن الأوقاف النقدية تحتاج إلى نظام خاص بها يبين طرق تسجيلها والهيكل الإداري المطلوب لهذا التسجيل وتوثيق جهة الانتفاع بها، وتحديد المتطلبات النظامية لأغراض الرقابة.

4. دراسة وحصر الاحتياجات والمشاريع التي يمكن الإنفاق عليها من الأموال الوقفية، وترتيبها وفق أولويات معينة وضوابط محددة.

5. الوقف على التدريب والمعاهد والمدارس التي تخدم هذا القطاع، سواء وقف المنشآت أوتخصيص بعض الأوقـاف للصرف على تلك الكليات والمعاهد ودعمها، وتوفير احتياجات طلابها وأساتذتها من الكتب والأجهزة وغير ذلك.

6. تشجيع الجمعيات القائمة على الأوقـاف، وتسهيل مهامها، ودعم أنشطتها التأسيسية، ومتابعة أعمالها من قبل الجهات الحكومية ومحاولة تحديث نظم إدارتها والرقابة عليها. وأيضاً الوقف على تشغيل وصيانة تلك المؤسسات سواء الموقوفة أوالحكومية، وذلك بتخصيص بعض العقارات أوالمزارع أوالمشروعات الاستثمارية للصرف على تلك المؤسسات.

7. إنشاء جهة مركزية مهمتها الأساسية الرقابة الصارمة على الأوقـاف النـقدية: وهـذا مـن شأنه طمأنة الواقفين والمساهمين في المشروعات الوقفية إلى شرعية وسلامة تعامل الهيئات القائمة على الوقف وكفاءة القائمين عليها، ويمكن أن يتم ذلك بالحصول على التزكية من العلماء ونشر التقارير الخاصة بتلك الهيئات وأنشطتها وما إلى ذلك، مما يدفع إلى تعزيز الثقة في تلك الهيئات والمؤسسات الوقفية ويزيد من إقبال الموسرين على التعامل معها. فالأوقاف النقدية هي بلا شك أكثر قابلية للاستغلال لسهولة الاستيلاء عليها وصعوبة الرقـابة مـن قبل القاضي أوالجـهة الحكومية المختصة بذلك. عندئذ فإن أمر الصناديق الوقفية يحتاج إلى إحكام الرقابة على عمل هذا النوع من الأوقـاف وإنشاء جهة مركزية مهمتها الأساسية الرقابة الصارمة على هذه الأوقاف النقدية.

8. إجراء الدراسات والأبحاث المستمرة وتقويم التجارب التي تقدم في هـذا المجـال سـواء في البلاد الإسلامية أوغيرهـا للاستفادة منها وتـلافي مـا قد يحدث من سلبيات. مع مراعاة الخصوصية الإسلامية لمجتمعاتنا، حيث أن مشـروعـات الـوقـف والأعـمـال الخيرية في بلادنا يجب أن تنطلق من المفهوم الإسلامي للتنمية الـذي لا يقتصر على الجانب المـادي الدنيوي فقط.

9. تشجيع الوقف على القرض الحسن لتمويل وتوسيع نشاط الصناعات الصغيرة للفقراء القائمة: من الأغراض التي تحدث عنها الفقهاء قديماً لوقف النقود هي القرض الحسن، فيقع التحبيس على رأس المال ويتصدق بمنفعة استخدام النقود مدة للمحتاج إليها ثم يردها بلا زيادة. وجلي أن الناس اليوم أحوج ما يكونون إلى مثل ذلك. فقد ضعف جانب التكافل بينهم فلم يعد الواحد منهم يقرض أخاه، والبنوك لا

تقرض إلا بالربا، والبنوك الإسلامية لا تعمل بالقروض بل بالبيوع والتجارات والمشاركات. فالوقف النقدي هذا قادر على جمع الأموال لغرض لذوي الحاجات قروضاً موثقة بالضمانات والكفلاء ينتفعون بها ثم يردونها لينتفع بالمال غيرهم.

سابعاً: أساليب تمويل المشروعات الصغيرة للفقراء في التصور المقترح:

تقترح الباحثة الأساليب التالية لتمويل المشاريع الصغيرة للفقراء:

1. في حالة بقاء الوقف النقدي أوالمصارف على حالها:

فيما إذا أريد الإبقاء على وضعية الأوقاف النقدية أوالمصارف القائمة على حالها، فإن الأمر يتطلب بعض التعديلات، إذا لا بد من تعديل أهداف هذه الأوقاف النقدية لكي تتماشى مع تمويل المشاريع الصغيرة للفقراء، ويمكن أن يكون ذلك على خطوات تتمثل في الآتي:

1. تعديل الأهداف كما ذكر آنفاً.

2. إستحداث شعبة خاصة في الصندوق تتولى الإشراف على المشروع.

3. تنظيم العلاقة مع الوزارات المختصة أومكاتب التشغيل أوالمنظمات غير الحكومية من أجل التنسيق فيما بينها وذلك من خلال:

- مد الصندوق بالإحصاءات المطلوبة عن عدد العاطلين.
- مد الصندوق بخارطة استثمارية عن أنواع المشاريع الصغيرة للفقراء.
- مد الصندوق بالاحتياجات العلمية أوالتكنولوجية المطلوبة لتطوير تلك المشاريع.
- مد الصندوق بالإطار القانوني لتلك المشاريع.

د-دعوة العاطلين أوأصحاب المشاريع الصغيرة من الفقراء لتقديم مقترحاتهم وأفكارهم حول المشاريع المزمع إنشاؤها أوالمرغوب في تطويرها مشفوعة بدراسات الجدوى الأولية.

هـ-تحديد أسلوب التمويل المقترح (من خلال المتوفر من تخصيصات لدى الوقف النقدي) إما مقارضة ومنح صاحب المشروع مدة سماح متفق عليها، يقوم بعدها بتسديد المبلغ على شكل أقساط في مدد محددة. وإما مضاربة وبالتالي يدخل الوقف النقدي كشريك، وتتم متابعة المشروع من خلال تقديم تقارير مالية دورية وفقاً للأنظمة المحاسبية السائدة.

و-يمكن للمشاريع القائمة أن تطلب معونة أوقاف التنمية العلمية من خلال دراسة مقترحات الآلات والمعدات اللازمة أوتوفير الاختراعات المطلوبة ربما يكتسب هذا الأسلوب ميزة من خلال عدم الحاجة إلى استحداث أوقاف أومصارف جديدة وبالتالي الحاجة إلى سن تشريعات جديدة. بينما قد يؤخذ عليه بأنه قد تجاوز الأهداف المرسومة للوقف.

وحتى أساليب التمويل فلكل منه مزاياه، فالقرض الحسن يضمن للوقف استرداد مقدار قرضه وتجنب المخاطرة في أموال الوقف. أما أسلوب المضاربة فإنه يتحمل شيئاً من المخاطرة يمكن التخفيف من حدته من خلال ضبط دراسات الجدوى للمشروع، مع توفيره ميزة إيجاد مصادر تمويل متجددة للوقف النقدي.

2- استحداث صناديق أومصارف وقفية حديثة لتمويل المشاريع الصغيرة للفقراء:

إن إقامة صناديق متخصصة لتمويل المشاريع الصغيرة للفقراء يعطي للموضوع أهميته إذ إن القائمين على المشروع سوف يكون اختصاصهم في هذا المجال حصراً وبالتالي نتجنب التشتت في الاختصاص. وهذا الأمر يتطلب الآتي:

1. إيجاد إطار قانوني يتضمن سن تشريع لاستحداث الصندوق المختص بتمويل المشاريع

الصغيرة للفقراء يتولى تحديد الشروط والجهات المستفيدة والأهداف المرسومة للصندوق.

2. يقوم الصندوق وفي ضوء الإطار القانوني بترتيب العلاقة من خلال اتفاقيات أومذكرات تفاهم مع الوزارات المختصة أومنظمات المجتمع المدني، أومكاتب التشغيل لتحديد دور كل طرف في هذا المشروع ورفد الصندوق بالمعلومات اللازمة، وكما ذكر في الأسلوب السابق.

3.جبعد توفر الإطار القانوني والهيكل الإداري اللازم لتنفيذ أهداف المشروع، يقوم الصندوق بتوجيه الدعوة للاكتتاب العام بواسطة الأسهم الوقفية للمجتمع بعد إيضاح طبيعة هذه الأسهم والهدف منها والمشاريع المزمع تغطيتها.

4. لا يمنع المتقدم تمويلاً ما لم تكن فكرته مشفوعة بدراسة الجدوى الأولية للمشروع الصغير.

5. يقوم الصندوق بتحليل هذه الدراسات واختيار الأفضل منها، ويحدد المرغوب في التعاقد معهم.

6. يحدد الصندوق طبيعة وصفة التعاقد مع المستفيدين والذين اجتازت دراساتهم الأولية التحليل بنجاح، إما عن طريق القرض الحسن أوطريق المشاركة وكما ذكر آنفاً.

7. تولي الواقف بنفسه إعانة أصحاب المشاريع الصغيرة:

أن بعض الفقهاء أجازوا وقف النقود مضاربة، وذلك أجازوه على شكل قرض حسن الأمر الذي يمكن الواقف من اختيار الأسلوب أوالشخص الملائم لإعانته على تأسيس أوتوسيع مشروع صغير. إلا أن هذا الأسلوب يتطلب حملة توعية واسعة تقنع الواقفين على أهمية إيقاف أموالهم في هكذا مشروع. من جهة أخرى فإن نطاق هذا الأسلوب ربما سيكون ضيقاً إذ سيقتصر فقط على معارف الواقف. لذا ينبغي تثقيف الواقفين على أهمية الإيقاف وكذلك تحري الدقة في اختيار الشخص المناسب والمرغوب في منحه قرضاً أومشاركة.

ثامناً: نماذج تطبيقية في ضوء التصور المقترح:

نموذج لإنشاء وقف نقدي لتمويل المشروعات الصغيرة للفقراء:

يقدم بعض الخيرين مبلغاً محدوداً لإنشاء الوقف بالصيغة المناسبة نظامياً لبيئتهم، ويختارون أهم الإداريين، ثم يتصلون بعدد من المصارف المحلية بطلب استضافتها للوقف النقدي وتقديمها خدمة حسابات الوقف مجاناً أوبرسم معتدل، ثم توجه دعوة للجمهور ليكونوا من الواقفين أوالمقرضين أوالكفلاء. ومن يختار أن يكون مقرضاً (ولنفترض تبسيطاً أن لديه حساباً جارياً في البنك المضيف) يمكنه أن يصدر أمراً دائماً إلى البنك بأنه:

(متى بلغ رصيد حسابي لديكم مبلغ كذا، فإني أفوضكم بتحويل الزيادة قرضاً مني إلى حساب الوقف النقدي. وإذا انخفض رصيدي دون ذلك المبلغ فأرجوأن تستردوا لي من قرضي للوقف ما يجبر النقص).

ويمكن لكفيل السيولة وكفيل التوى أن يصدر تعليمات مناسبة على تلك الشاكلة. وكل هذا صار اليوم سهل التنفيذ بكلفة تافهة باستخدام البرامج الإلكترونية التي تدير بها البنوك حساباتها.

وأحسب أن كثيراً من الناس يتمنى أن يتاح له معونة المشاريع الصغيرة للفقراء بإقراض الوقف قرضاً حسناً لا خطر فيه ولا كلفة، فيكسب الثواب نائماً ويقظان!! ومن لديه سعة ويحب أن ينافس في الخيرات فليكن مقرضاً للوقف لأجل طويل أوكفيلاً أوواقفاً على التأبيد أي مبلغ قل أوكثر.

نموذج صيغة جمعية تعاونية لتمويل المشروعات الصغيرة للفقراء:

إن صيغة الوقف النقدي مناسبة جداً لتمويل المشروعات الصغيرة للفقراء.. لكنها قد تواجه عقبات

تنظيمية أوقانونية في بعض البلاد. فمن المهم التنويه بأنها ليست الصيغة الوحيدة. ومن الممكن تنفيذ الفكرة بصيغة جمعية تعاونية نشاطها الأساسي تقديم التمويل من بعض أعضائها لبعض.

وحينئذ تكون الخطوة الأولى لتقديم التمويل للفقير، هي التأكد من صلاحيته وصلاحية مشروعه. فإن كان كذلك قبل عضواً في الجمعية.

ويقدم المقرضون للجمعية ما يودون من مال نقدي بصفتهم أعضاء، كما يتعهد الجميع بأن يكفل بعضهم بعضاً لتوفير السيولة وتعويض التوى. وإن كان المفهوم ضمناً أن الفقراء المتلقين للتمويل لن يستطيعوا ولن يطلب منهم أن يقرضوا، وأن الموسرين من الأعضاء هم الذين سيكونون مقرضين وكفلاء.

تاسعاً: مقومات نجاح الوقف النقدي لتمويل المشروعات الصغيرة للفقراء:

1. توافر الموارد المالية، وهذا في ظني عقبة مؤقتة. فمتى بدأ تنفيذ الفكرة ولوعلى نطاق صغير جداً لكن على نحويثبت سلامتها المالية ونزاهتها وأثرها الحسن على الفقراء، فإن الكثير جداً من الناس سيحبون الانضمام إليها بصفة مقرضين أوكفلاء أوواقفين.

2. أن يقترن التمويل المقدم للفقراء بتأهيل سريع في المهارات الأساسية بحسب الحاجة، ومع التوجيه الديني والخلقي في كل بيئة بما يناسبها، حتى يستخدم التمويل بأمانة وفاعلية، ويخرج المتمول أغنى وأمهر مما دخل.

3. الإدارة الماهرة التي تضبط نظام التمويل وتحسن اختيار المستفيدين بما يحقق معدلات تسديد عالية، وتستنهض همم رجال الأعمال ليمدوها باقتراحات مشروعات انتاجية مناسبة للفقراء في مجتمعها. وهذا الجانب، وهوالإدارة، هوالأصعب ولكنه الأكثر ضماناً لحسن سير الأعمال الوقفية وفائدتها للفقراء.

الخاتمة

تواجه أمتنا الإسلامية تحديات جمة، ومن أبرزها الجانب الاقتصادي، إذ بدأت معدلات تدني نصيب الفرد من الدخل القومي وتفشي الفقر وشيوع ظاهرة البطالة، والتي تمثل خطراً فادحاً كونها تتفشى في شباب الأمة. حتى بات مقدارها يقترب من الرقم ذي المرتبتين. الأمر الذي يحتم معالجتها وإلا تحولت إلى بؤر للإرهاب والفساد ومرتع للجريمة دون أن تشعر.

وقد أثبتت التجارب العالمية أن من أنجح أساليب معالجة مشكلة الفقر هوعن طريق تأهيل الفقراء بتمكينهم من القيام بمشاريعهم الصغيرة. إلا أن هذه المشاريع تتطلب تمويلاً ربما تعجز الحكومات عن تغطيته. مما يلزم البحث عن مصادر تمويل جديدة.

وللأسف دائماً ننسى أونتناسى قوله صلى الله عليه وسلم: (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) (رواه أحمد في مسنده، الحديث رقم 1123) هذه المحجة شرعت لتنظيم حياة البشرية جمعاء، ومنها الجانب الاقتصادي لهذه الحياة، فنصف الفقه هوالمعاملات، وأورد الفقهاء الكثير من الأدوات لعلاج مشكلة الفقر من زكاة وصدقات وأوقاف.. إلخ.

ومن الأوقاف الخيرية التي يمكن أن تساهم في تمويل المشروعات الصغيرة للفقراء نجد "الوقف النقدي" ويعتمد هذا الوقف ابتداء، شأن كل وقف، على أموال موقوفة على التأبيد يكفي ريعها على الأقل لتغطية نفقات إدارة الوقف والمحافظة عليه. لكن الجانب الجديد هوالصيغة المقترحة فيه لحشد أموال نقدية بصفة وقف مؤقت للنقود. وهذه الأموال تأتي من مساهمين كثيرين، ممن لهم ودائع تحت الطلب لدى المصارف، يقدمون منها للوقف قرضاً حسناً مؤقتاً. يضمن الوقف هذه القروض ويستخدمها لتمويل الفقراء الموقوف عليهم، ويعزز ضمان الوقف كفلاء متبرعون. والكفلاء فئتان إحداهما تكفل توفير السيولة

لمن يرغبون استرداد القرض الحسن المؤقت الذي قدموه للوقف، والأخرى تكفل تعويض التوى (عدم رد مبلغ التمويل لأي سبب).

ولا ينبغي طلب أي ضمانات مالية عند تقديم التمويل من هذا الوقف حتى لا يستبعد الفقراء الذين أنشئ الوقف لعونهم، لكن يستعاض عنها بالضمانات الشخصية والاجتماعية، كما يمكن أن يقوم مثل هذا المشروع بصيغة جمعية تعاونية وليس بصورة وقف. وفي ضوء ما تم تناوله في هذا البحث، فقد توصلنا إلى النتائج التالية:

1. نظام الوقف من النظم الدينية التي أصبحت في ظل الإسلام مؤسسة عظمى لها أبعاد متشعبة دينية واجتماعية واقتصادية وثقافية وإنسانية، كانت هذه المؤسسة في ظل الحضارة الإسلامية تجسيداً حياً للسماحة والعطاء والتضامن والتكافل، غطت أنشطتها سائر أوجه الحياة.

2. تتزايد أهمية الوقف والحاجة إليه في العصر الحاضر يوماً بعد يوم مع تزايد معدلات البطالة وانتشار معدلات الفقر من جهة وعجز بعض الحكومات عن مواجهة هذه الزيادات من جهة أخرى.

3. رغم وجود مفهوم الدولة القائم بشكله المعاصر، بكثير من الخدمات الاجتماعية التي كانت تقوم بها الأوقاف سابقاً، إلا أن الظروف المالية للدول توجب إعطاء الوقف دوره الحقيقي في المساهمة في جوانب التشغيل والقضاء على الفقر وهذه المشاركة من قبل أثرياء الأمة لا تعني تقليل الأعباء عن الحكومات بقدر ما تؤدي إلى ترسيخ قيم الانتماء في النفوس للمجتمع المسلم الكلي وجعل أفراد الأمة أكثر استعداداً للمشاركة الفعالة في تبني هموم المجتمع.

4. كانت الأوقاف على مر التاريخ إحدى الروافد الأساسية لبيت المال يصرف ريعه على جهات البر المختلفة من مؤسسات دينية وصحية إلى جانب كثير من المنشآت التعليمية والصحية والمرافق العامة الأخرى.

5. أن الوقف النقدي يمكن أن يكون آلية هامة لتمويل وتنمية المشاريع الصغيرة للفقراء، ذلك أن هذه الأوقاف وإدارتها يمكنها أن تملك من المرونة الإدارية والاجتماعية مالاً تملكه الإجراءات الرسمية وهذه المرونة هي ما تحتاجه برامج تمويل مثل هذه المشاريع بشكل عام بعيداً عن الجمود الروتيني والأنظمة المقيدة.

توصيات عامة تساهم في تفعيل دور الوقف النقدي لتمويل المشاريع الصغيرة للفقراء:

1. ضرورة العمل على إنشاء وتعميم وقفية متخصصة لتمويل المشروعات الصغيرة للفقراء بواسطة تبرعات صغيرة (صكوك الوقف) والتي يمكن أن تخصص لإنشاء وقفيات تبعاً للأغراض التي يتغياها الواقفون

2. التوسع في إصدار الصكوك الوقفية تمكيناً لذوي الدخل المحدود من إحياء سنة الوقف ونيل ثوابه بوقف ما يدخل تحت طاقتهم المالية ووضع الضوابط الشرعية لإصدار وتسويق وتداول واستثمار الصكوك الوقفية بما يزيد من ثقة الناس وإنفاق ريع كل صندوق في مجال البر الذي يختاره المشاركون فيه والتنسيق بين الصناديق الوقفية وفيما بينها وبين المؤسسات ذات الصلة وفيما بينها وبين أجهزة الدولة المعنية وأن يكون الوقف أحد المصادر الرئيسية لتمويل الجمعيات الخيرية وسائر المنظمات غير الحكومية والاستغناء به عن الدعم الخارجي الذي لا يتلاءم مع مقاصدها.

3. إعداد وتنفيذ خطة إعلامية واسعة للتعريف بأهمية الوقف بصفة عامة وأهمية هذه الأوقاف النقدية بصفة خاصة في تنمية وتمويل المشروعات الصغيرة للفقراء حيث أن تعبئة تبرعات صغيرة (صكوك الوقف)

والتي يمكن أن تخصص لإنشاء وقفيات لتنمية وتمويل المشروعات الصغيرة للفقراء هدفاً يستحق تضافر الجهود الوطنية في إطار تعبئة وتحقيق استخدام أفضل للموارد المحلية. ويتطلب ذلك سياسات فعالة لتسهيل هذه العملية، كما أن حجم الاستثمارات التي يمكن أن يحققها المجتمع يتوقف لدرجة كبيرة على عوامل تنظيمية لها أثرها البالغ والهام في تكوين هذه المدخرات، ومن ثم في توفير الموارد التي تمول هذه الاستثمارات، وهذه العوامل التنظيمية لا تتصل بالجوانب الاقتصادية وحدها، ولكن تنصب على الجوانب الاجتماعية والسياسية في المجتمع.

من أجل ذلك فإن نشر هذا الوعي ليس بالضرورة قضية اقتصادية وحسب، بل هو ضرورة اجتماعية وسياسية أيضاً تستهدف إعادة صياغة مفاهيم الأفراد واتجاهاتهم، إلا أن مشكلة خلق الوعي التوظيفي في هذه التبرعات يتطلب خطة وطنية تقوم على أسس تربوية وإعلامية تغرس مفاهيم التكافل، وأهميته في التنمية لدى الأجيال الناشئة.

1. تهيئة الفرصة لجمهور المسلمين للوقف: والذين لا يتوافر على هؤلاء الأموال الكثيرة والثروة التي تمكنهم من إنشاء الأوقاف المستقلة مثل المدارس والمستشفيات والمعاهد ... الخ. إلا أنهم يتمتعون بمستوى جيد من المعيشة، ودخول منتظمة ويمكنهم ادخار نسبة من دخولهم الشهرية وهم كسائر المسلمين في كل عصر ومصر يحبون فعل الخيرات فلا بدأن يتهيأ الوقف بطريقة يمكن لهم من جهة المساهمة بمبالغ قليلة تجتمع لتصبح كبيرة مؤثرة.

ومن جهة أخرى أن يساهموا مساهمات مستمرة عبر الزمن ومنتظمة كانتظام دخولهم من وظائفهم وأعمالهم لذلك فيجب وضع الإجراءات واللوائح المنظمة لعملية الوقف في مجال تنمية وتمويل المشروعات الصغيرة للفقراء، بحيث تكون الصورة واضحة تماماً أمام الواقفين، مما يبصر الواقف عند إرادته الوقف في هذا المجال. خاصة وأن الأوقاف النقدية تحتاج إلى نظام خاص بها يبين طرق تسجيلها والهيكل الإداري المطلوب لهذا التسجيل وتوثيق جهة الانتفاع بها، وتحديد المتطلبات النظامية لأغراض الرقابة. ويجب أن يتضمن النظام الخاص بالوقف على تنمية وتمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة نصوصاً تتعلق بتحديد جهة التسجيل، وجهة الرقابة وكيف يتكون مجلس إدارة الوقف وطريقة اختيار أعضائه والميزانيات السنوية والتدقيق المحاسبي والمراجعة.. إلخ.

2. دراسة وحصر الاحتياجات والمشروعات التي يمكن الإنفاق عليها من الأموال الوقفية، وترتيبها وفق أولويات معينة وضوابط محددة.

3. الوقف على التدريب والمعاهد والمدارس التي تخدم هذا القطاع، سواء وقف المنشآت أوتخصيص بعض الأوقاف للصرف على تلك الكليات والمعاهد ودعمها، وتوفير احتياجات طلابها وأساتذتها من الكتب والأجهزة وغير ذلك.

4. تشجيع الجمعيات القائمة على الأوقاف، وتسهيل مهامها، ودعم أنشطتها التأسيسية، ومتابعة أعمالها من قبل الجهات الحكومية ومحاولة تحديث نظم إدارتها والرقابة عليها. وأيضاً الوقف على تشغيل وصيانة تلك المؤسسات سواء الموقوفة أوالحكومية، وذلك بتخصيص بعض العقارات أوالمزارع أوالمشروعات الاستثمارية للصرف على تلك المؤسسات.

5. إنشاء جهة مركزية مهمتها الأساسية الرقابة الصارمة على هذه الأوقاف: وهذا من شأنه طمأنة الواقفين والمساهمين في المشروعات الوقفية إلى شرعية وسلامة تعامل الهيئات القائمة على الوقف وكفاءة القائمين عليها، ويمكن أن يتم ذلك بالحصول على التزكية من العلماء ونشر التقارير الخاصة بتلك الهيئات وأنشطتها وما إلى ذلك، مما يدفع إلى تعزيز الثقة في تلك الهيئات والمؤسسات الوقفية ويزيد من إقبال الموسرين على التعامل معها. فالأوقاف النقدية هي بلا شك أكثر قابلية للاستغلال لسهولة الاستيلاء عليها وصعوبة الرقابة من قبل القاضي أوالجهة الحكومية المختصة بذلك. إن الأوقاف النقدية تحتاج إلى إحكام الرقابة على عمل هذا النوع من الأوقاف وإنشاء جهة مركزية مهمتها الأساسية الرقابة الصارمة على هذه الأوقاف.

6. إجراء الدراسات والأبحاث المستمرة وتقويم التجارب التي تقدم في هذا المجال سواء في البلاد الإسلامية أوغيرها في ضوء ضوابط الشريعة الإسلامية للاستفادة منها وتلافي ما قد يحدث من سلبيات. مع مراعاة الخصوصية الإسلامية لمجتمعاتنا.

– مشروعات الوقف والأعمال الخيرية في بلادنا يجب أن تنطلق من المفهوم الإسلامي للتنمية الذي لا يقتصر على الجانب المادي الدنيوي فقط.

1. تشجيع الوقف على القرض الحسن لتمويل وتوسيع نشاط المشروعات الصغيرة القائمة: من الأغراض التي تحدث عنها الفقهاء قديماً لوقف النقود هي القرض الحسن، فيقع التحبيس على رأس المال ويتصدق بمنفعة استخدام النقود مدة للمحتاج إليها ثم يردها بلا زيادة. وجلي أن الناس اليوم أحوج ما يكونون إلى مثل ذلك. فقد ضعف جانب التكافل بينهم فلم يعد الواحد منهم يقرض أخاه، والبنوك لا تقرض إلا بالربا، والبنوك الإسلامية لا تعمل بالقروض بل بالبيوع والتجارات والمشاركات. فصندوق الوقف النقدي قادر على جمع الأموال لغرض القرض لذوي الحاجات قروضاً موثقة بالضمانات والكفلاء ينتفعون بها ثم يردونها لينتفع بالمال غيرهم. ويمكن أن يستفيد الصندوق من صيغة الوقف المؤقت التي إجازها المالكية. فيسمح لذوي اليسار إيداع أموالهم الفائضة عن الحاجة وقتاً ثم استردادها وهي في هذه الفترة تقرض للمحتاج ينتفع بها.

2. تنظيم مؤتمر دولي لدراسة دور الأوقاف النقدية في تمويل وتنمية المشاريع الصغيرة للفقراء بما يحقق تكاملها وتحقيق الترابط بين هذه المشاريع وبين المشروعات الكبرى سواء على مستوى القطر أوعلى المستوى الوطني في المجتمعات العربية والإسلامية.

المراجع

1. ابن البزار الحنفي (1400هـ): الفتاوي البزاية، الجزء السادس، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

2. ابن تيمية (1988م): الفتاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

3. ابن عابدين (1973م): حاشية ابن عابدين، الجزء الرابع، دار الشروق للنشر، بيروت.

4. ابن قدامة (1415هـ): المغني، الجزء الثامن، دار الفكر العربي، بيروت.

5. الخربشي، على (1997م): حاشية العدوى، الجزء السابع، دار صادر للنشر، بيروت.

6. الخصاف (1977م): أحكام الأوقاف، دار الفكر العربي، بيروت.

7. خضر، إحسان (2013م): تنمية المشاريع الصغيرة، إصدارات الجسر للتنمية، الكويت.

8. خليفة، حاجي (1423هـ): كشف الظنون، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

9. الدردير (1975م): الشرح الكبير بهامش حاشية الدسوقي، الجزء الرابع، دار الفكر العربي، بيروت.

10. دنيا، شوقي (1415هـ): أثر الوقف في إنجاز التنمية الشاملة، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد 24.

11. الزرقا، محمد أنس (1985م): مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

12. الزرقا، مصطفى (2001م): أحكام الأوقاف، دار الفكر العربي، بيروت.

13. السدلان، صالح بن غانم (1420هـ): أثر الوقف في الجانب التوجيهي للمجتمعات، مكة المكرمة.

14. السندي، عبد الرحمن (2006م): آفاق تطوير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في مملكة البحرين، لجنة المؤسسات الصغيرة، المنامة.

15. الطرابلسي (1415هـ): الإسعاف في أحكام الأوقاف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.

16. العافي، أسامة عبد المجيد (2006م): دور الوقف في تمويل التنمية البشرية، مجلة آفاق الثقافة، مركز جمعة الماجد، الإمارات العربية المتحدة.

17. عمر، محمد عبد الحليم (2004م): الاستثمار في الوقف وفي غلاته وفي ريعه، أبحاث الدورة الخامسة عشرة، مجتمع الفقه الإسلامي الدولي، مسقط.

18. قحف، منذر (2000م): الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، دار الفكر، دمشق.

19. الكندي (1982م): تاريخ القضاة، دار الشروق للنشر، بيروت.

20. مراد، مراد فالح (2008م): المشروعات الصناعية الصغيرة والمتوسطة ودورها في معالجة البطالة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، بغداد.

21. الموسوعة الفقهية الكويتية، الجزء (44): الفصل (70).

22. الهيثمي (1418هـ): تحفة المحتاج، الجزء السادس، دار صادر، بيروت.

الحضور العربي في رواية المنفى

أ.د/ عبد الرزاق حسين

القضية الفلسطينية بمآسيها وآلامها شغلت – وما تزال تشغل – الكثير من السياسيين والعسكريين والمثقفين والأحرار في جميع بلاد العالم، وخاصةً منذ قيام الدولة المحتلة (اسرائيل) عام ١٩٤٨م؛ وحتى اعداد هذا البحث في عام ٢٠١٤م. وبالرغم من مضي أكثر من ستة وستين عاماً فإن القضية ما زالت تدور في المربع الأول حتى الآن.

احتلال وتشريد، ومقاومة، وتحيز سافر للعالم الغربي ضد الحق الفلسطيني. هذه القضية ألهمت الراوي الأمريكي ريتشارد نورث باترسون لكتابة روايته (المنفى Exile) في عام ٢٠٠٧م وترجمها إلى العربية حليم نسيب نصر، وأصدرتها دار الكتاب العربي في بيروت عام ٢٠٠٨م.

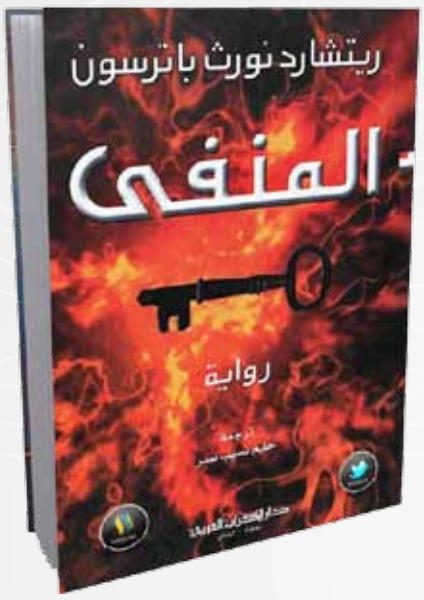
ريتشارد نورث باترسون
المنفى
رواية

الحضور الفلسطيني في هذه الرواية ليس حضور صورة، أوظلٍّ، أوشاهد، بل هوحضور للأرض والتاريخ، والإنسـان، والمكـان، والـزمـان، ويكـاد يكون الحضور المشخَّص الذي تبدوفيه كل القسمات، فعلى مدى 650 صفحة لم تغب صورة فلسطين في أحداثها وأشخاصها ومواقعها، وآمالها وآلامها. إن الحضور الفلسطيني كان مكثفاً، وبغض النظر عن ما تنقله الرواية من وجهات نظر مختلفة، أوما قد يوحيه ما بين السطور، وما قد نتفق أونختلف عليه، فإني أكاد أقول: إنَّ هذه الرواية سجلٌ حافلٌ لأوضاع فلسطين منذ اتفاقية أوسلووإلى زمان صدور هذه الرواية عام 2008م إذ لا تكاد تجد حدثًا، أواسمًا، أوفكرة، إلا وقد حضر، وبإيجاز فإنَّ هذا الحضور يتمثل في: العنوان وهوالمنفى، وفي الأحداث منذ عام 1948م وحرب 1967م وحرب أيلول 1970م بين الفدائيين والأردن، وحرب 1982م حيث دخول اليهود إلى بيروت وطرد المقاتلين الفلسطينيين إلى تونس، وفي عرض المجازر التي تعرَّض لها الشعب الفلسطيني في دير ياسين، وصبرا وشاتيلا، وتل الزعتر، ومذبحة المسجد الإبراهيمي في الخليل، ومذبحة مخيم جنين، وترد مصطلحات لها دلالتها وأسماء لها حضورها، مثل: اللاجئين، السلطة الفلسطينية، منظمة التحرير، فتح، المجلس التشريعي، الحواجز، كتائب الأقصى، الجهاد الإسلامي، اتفاقية أوسلو، المستوطنات، الجدار الفاصل، فندق الملك داود، كما تحضر الأماكن والبلدات والمدن الفلسطينية، مثل: القدس، جنين، رام الله، بير زيت، الخليل، والجليل، الضفة الغربية، غزة، ويهودا والسامرة، حيفا، والمسجد الأقصى، وجبل المكبر، وكنيسة القيامة، وبيت لحم، ومخيم عايدة، وهناك أسماء عربية وإسرائيلية وأمريكية، وغيرها لها حضورها، مثل: ياسر عرفات، كلينتون، رابين، مناحيم بيغن، الميليشيا المسيحية، التوراة، الإنجيل، المحرقة، هتلر، النازية، حتى العادات والتقاليد، مثل: الحجاب وغطاء الرأس، وآداب الشريعة الإسلامية.

إنَّها رواية الإلمام بالحضور الفلسطيني، بل بحضور القضية الفلسطينية بقضها وقضيضها. وموجزها يحكي قصة طالبة وطالب فلسطينيين يدرسان في جامعة هارفرد بالولايات المتحدة من أحد المخيمات الفلسطينية في لبنان.

تجمع الطالبة هناء علاقة حب بطالب يهودي هوافيد، وكأي مجتمع طلابي يدور نقاش حول قضية فلسطين، خلال ذلك يتخرج هذان الطالبان ويعودان إلى فلسطين، ويتزوجان وينجبان، ثم يعودان مرة أخرى إلى الولايات المتحدة، وخلال وجودهما يتم قتل رئيس الوزراء الإسرائيلي، وتُتَّهَم هناء وتعتقل، فيقوم دافيد ويترافع عنها على الرغم من خسارته لخطيبته اليهودية كارول، ولكل طموحاته السياسية في الوصول للكونجرس.

ولقطات هذا الحضور تبدأ من العنوان "المنفى" وتستمر في تصوير الصراع، وعرض وجهتي النظر الفلسطينية والإسرائيلية من خلال إثارة نقاط الخلاف ومنها:

- أحقية الأرض
- الإرهاب والإجرام
- حق العودة

وتتعدَّد هذه الحلقات لتمتد إلى وصف حال الفلسطينيين في الشتات والداخل المحتل، كما للأصولية الدينية حضور واضح، إلى جانب حضور لبنان ومجزرة صبرا وشاتيلا، وتبدوقضية السلام واتفاقية أوسلوكمحور من محاور الرواية، التي تظهر من خلالها حماس كمعطل لهذا السلام، وانطلاقًا من الفكرة الأساسية التي قامت عليها الرواية وهي فكرة قتل رئيس الوزراء الإسرائيلي، فإنَّ المحرقة "الهولوكوست" تتوهج شعلتها في معظم زوايا وأركان الرواية، وتقف هي والوضع الأمني الإسرائيلي كمبررين أساسيين لما تقوم به إسرائيل من عدوان واضطهاد وتنكيل واعتقال.

ونقف وقفة أخيرة مع الرواية لنبين عن وجهة نظرنا الخاصة حول فكرة الزمان التي تراهن عليها إسرائيل،

وكـذلك الزعـم بـأرض بـــلا شعـب، ثـمَّ واقـعية الرواية وخياليتها، بالإضافة إلى شخصية البطلة هناء عـارف، والحضـــور الهتلـري، وأخـيراً الإنصـــاف الـــذي تزعمه الرواية:

العنوان: المنفى، إنَّ نفي أكثر من مليون فلسطيني عام 1948م وما يزيد على هذا العدد عام 1967م عن وطنهم فلسطين، وتشريدهم في بقاع الأرض المختلفة، في ظل أقسى الظروف التي قد لا تخطر على البال، اقتصادية، ومعيشية، واجتماعية، وتعليمية، وإنسانية، لهوعنوان لافت، بل لافتة منصوبة على واجهة الإنسانية جمعاء، تشهد بحجم الظلم والمأساة التي عاشها ويعيشها الشعب الفلسطيني.

والـروايـة تدخل هـذا المنفى لتصوره من الـزاوية التي تراها. إنها روايـة الحضور العربي، بل الحضور الفلسطيني، بل حضور القضية بقضها وقضيضها منذ اتفاق أوسلووإلى حدود 2008م.. لذلك فمن الصعب علينا أن نستحضر هذا الحضور في بضع وريقات، ومع ذلك سأحاول إيجاز هذا الحضور من خلال التركيز على الأفكار الرئيسة التي حاول الروائي الانطلاق من خلالها.

وإذا كانت أحداث الرواية الرئيسة لم تقع أصلاً، وكما يقول مترجم الرواية: (إنَّ أحداث الرواية الرئيسة وشخصياتها الرئيسة وهمية التقديم) فإنَّ الرواية تقوم من حيث الأحداث على واقع استطاع الكاتب أن يصل إليه ويصوره من خلال عدسته الشخصية، ويرى المترجم أنَّ هذه الرواية (لا ككل رواية، إذ إلى جانب اكتمال عناصر الدراما، والمتعة، وعبقرية الحبكة، والسرد، والتشويق، والإثـارة، والترقُّب، إلاَّ أنَّ فيها أيضاً رسالة تهدف إلى اجتراح حل لسلام عادل دائم بين شعب ضحية، وآخر غدا ضحية الضحية).

فكرة الرواية الأولى تقوم على مهمة انتحارية خيالية لقتل رئيس وزراء إسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية، يقوم بها شابان فلسطينيان، هما إياد حسن، وإبراهيم جعفر. ينطلقان من رام الله عبر عمان إلى باريس ثم إلى مكسيكوسيتي، ومنها ينطلقان إلى الشريط الساحلي الشرقي للمكسيك من قرية أكومال التي كانت يوماً ما مأهولة بشعب المايا الذي انقرض، وأصبحت الآن منتجعاً للأجانب الأغنياء.

لعلَّ هذا العبور هونقطة عبور اليهود إلى فلسطين وطرد شعبها وإنهاء وجوده تماماً كشعب المايا، ثم الحلول محلهم، والنوم على أسرتهم، وشرب شايهم كما يقول محمود درويش.

وتعليل قتل رئيس الـوزراء الإسرائيلي يبدأ من كون إبراهيم قد عاش المحنة الحقيقية، فالصهاينة إلى جانب ما اقترفوه من إذلال شعبه، واحتلال كل أرضه بالأسلحة الأمريكية، لم يكتفوا بانتزاع بيت والده في حيفا، وإنّما لاحقوه حتى مخيم جنين الـذي استقر به والـده بعد المنفى، لتحوله قنابل الطائرات إلى كومة من الأنقاض، يرقد تحتها والد إبراهيم، أما أخته التي قتلها الجنود الصهاينة فهي منبع آخر لما يضطرم في صدره، والدافع القوي الذي يدفعه للقيام بهذا العمل.

وعلى الرغم من أنَّ الرواية تبدأ بهذا المشهد، إلاَّ أنَّ المحامي اليهودي الأمريكي (دافيد وولف) هوأساس الرواية وعمود بنائها، ومعظم شخصيات الرواية تدور في فلكه، فمن (هناء عـارف) الفلسطينية التي زاملته في جامعة هـارفـارد وعشقته، إلـى زوجها الفلسطيني (صائب)، إلى خطيبته اليهودية الأصل (كارول) ووالدها (هـارولـد)، إلـى رئيس الـوزراء الإسرائيلي (عاموس بن آرون) الـذي ستقتله الرواية على يد الفلسطينيين: (إبراهيم وإيـاد). وتظهر لنا شخصية (دافيـد) من البداية شخصية قوية لديها إصرار على تحقيق ذاتها، ومع ذلك فهوليس يهودياً متحمساً بما فيه الكفاية، كما تراه خطيبته كارول.

وإذا كان مفتاح الرواية يفتح على فكرة قتل رئيس الـوزراء الإسرائيلي في الولايات المتحدة على يد شابين فلسطينيين ينتقلان من خلال مخطط لهذه العملية من رام الله إلى عمان إلى المكسيك ثم إلى سان فرانسيسكو،

فلسطيني يقف أمام مستوطنات اسرائيلية

فإنَّ بوابة الرواية تفتح على تلك العلاقة المحرمة بين المحامي اليهودي والطالبة الفلسطينية، ولعلَّ هذا العشق المحرم هولونٌ من ألوان الرؤية أوالتصوُّر لعلاقة مستقبلية ما بين الفلسطينيين واليهود، فالفصل الأول من الرواية يبدأ باتصال هاتفي من هناء عارف لدافيد وولف بعد انقطاع دام ثلاثة عشر عامًا مما أربك خطط ديفيد تلك الخطط التي رسمها بمساعدة خطيبته كارول للوصول إلى الكونجرس. نعم تبدأ هذه العلاقة منذ اللقاء الأول في جامعة هارفرد في حلقة نقاش تكون هناء عضواً في هذه الحلقة، ومن خلال المفتاح الذي يتدلى على صدرها كان مفتاح هذه العلاقة الآثمة وابتداؤها، فدخول ديفيد إلى حياة هناء كان بعد انتهاء حلقة النقاش، ومحاولة ديفيد فتح حديث جانبي عن مشكلة أحقية أرض فلسطين، ويبدأ ذلك بسؤالها عن هذا المفتاح، ليدعوها بعد ذلك على الغداء.

تصوير الصراع: تصوِّر الرواية الصراع بين الفلسطينيين واليهود على أنه صراع بين شعبين، فرئيس الوزراء الإسرائيلي "عاموس بن آرون" يهدف من جولته في أمريكا للترويج لخطة السلام التي يتبناها "من أجل تحقيق السلام مع الفلسطينيين، هذا السلام الذي طالما بقي مسدود المسالك بفعل الصراعات العنيفة المضنية التي عاشها الشعبان، كما أنَّ تحويل الصراع من صراع حق على الأرض إلى صراع تعصُّب ديني، محاولة لتغيير اتجاه مجرى الصراع، فإذا دمَّر الأصوليون اليهود موقعًا دينيًّا إسلاميًّا مقدّسًا بصاروخ، فإنَّهم يستطيعون أن يدمروا فرصة السلام، والكلام نفسه صحيح إذا تمكّن الأصوليون الدينيون الفلسطينيون من تدمير موقع يهودي، فالشرق الأوسط أشبه بقنبلة لا ينفك المتعصبون من الطرفين من الدوران حولها بحثًا عن صاعق التفجير وهكذا تبدو عملية إظهار الصراع.

عرض وجهتي النظر الفلسطينية والإسرائيلية: بغض النَّظر عن أيِّ توجُّه قد يُلمحُ من السَّرد، أوما تحمله بعض العبارات، فإنَّ ممَّا نلمسُهُ هوالعرض لوجهتي النظر الفلسطينية والإسرائيلية، وهذا يُعطي انطباعًا عنْ أنَّ شيئًا من فكِّ الحظر عن وجهة النّظر الفلسطينية بدأ يبدوعلى السطح، فالقارئ الغربي لم يكن ليرى أويسمع

سوى وجهة نظر واحدة، فالإعلامُ الغربيُّ ومن ضمنه الكتابات القصصية بل والبحوث التاريخية كانت كلها تنظر بعين واحدة، فالعين الأخرى مقفلة طوعًا أَوكَرْهًا.

فالفلسطيني الذي يرى محوصورته ووضع صورة الإسرائيلي مكانها، ففي ذلك المكان البعيد جدًا في قرية أكومال على الشريط الساحلي الشرقي للمكسيك، وفي هذا المنتجع الخاص بالأثرياء يجد ملاحقة اليهود له، فالبيت ملك ليهودي، وحتى ملصقات الدعاية وكتبها المصوَّرة تتحدَّث عن الكذبة الكبرى أرض بلا شعب، لشعبٍ بلا أرض، بل أرض جرداء مقفرة، يحوِّلها الشعب الجديد الذي سكن على أنقاض شعبها الأصيل إلى جنات وارفة، فالكتاب المصوَّر الدعائي المعنوَن بـ "يوم في حياة إسرائيل" يتحدَّث عن معجزة إسرائيل وإنجازاتها في تحويل هذه الصحاري إلى جنات نابضة بالخضرة والبساتين والكروم. والعرض لوجهتي النظر يبدومن خلال استغلال الرواية لحلقة نقاش في جامعة هارفرد حول المشكلة الفلسطينية الإسرائيلية بين طالبين فلسطينيين هما: هناء عارف وصائب خالد، وآخرين إسرائيليين هما: ماركوس غودمان، وروث مار، ويدير حلقة النقاش أستاذ مادة القانون الدستوري، والحوار يدور حول النقاط التالية:

—أحقية الأرض، فاليهودي يرى حقه التوراتي في هذه الأرض (التي منحها الله بشكل لا يقبل التبديل للشعب اليهودي) وهناء الفلسطينية تسخر من هذا الزعم وتثبت من خلال التاريخ والواقع الجذور الفلسطينية الضاربة في القدم، وما تمَّ هومؤامرة دولية بتدبير بريطاني. ولكن هذا الحق الإلهي المزعوم يظل يرد على ألسنة شخصيات الرواية من اليهود فالله (هوالذي منح هذه الأرض لأبناء شعبنا.

—الإرهاب والإجرام: كل طرف من أطراف حلقة النقاش يوجه الاتهام للطرف الآخر، فصائب يشرح جرائم اليهود في قتل الفلسطينيين وتدمير قراهم، والمذابح التي قاموا بها في دير ياسين وقبية، وجنين وصبرا وشاتيلا، وغيرها (في دير ياسين وحدها قامت منظمة الأراغون الإرهابية التي أوجدها رئيس وزرائهم صانع السلام الكبير مناحيم بيغين بقتل ما يزيد على

مائتين وخمسين فلسطينيًّا بين رجل وامرأة وطفل، بعد تعريتهم من ثيابهم، ورميهم في الآبار.

ويأتي الرد المقابل من روث التي تؤرخ لثلاث مذابح قام بها الفلسطينيون ضد اليهود في الخليل، وتتهم مفتي فلسطين الشيخ أمين الحسيني بأنه هتلر العرب، (كما كان صديق هتلر في الشغف المشترك بمحو اليهود الاتهام المتبادل جعل مدير الحلقة ينهي النقاش على أمل أن تأتي محادثات أوسلوبديل عن العنف المتبادل.

—حق العودة: الذي يراه الفلسطيني حقًّا مقدّسًا، بينما يرفضه اليهودي، ويرى أن لاحق له في ذلك، والنقاش الدائر، حول من خرج قبل أربعين سنة ولا يحق له العودة، بينما من خرج قبل ألفي سنة له الحق المكفول والمضمون.ولذلك يهزأ صائب من هذا المكيال الذي يحق فيه لليهودي ما لا يحق لغيره، فيقول: (هل يحق لليهودي بموجب عدالتكم التي تتغنون بها ما لا يحق لغيره من أبناء البشر؟. وتبدو على صفحات الرواية آراء بإنكار وجود الشعب الفلسطيني، بل والدعوة للوطن البديل، (سوف نعيدهم إلى الأردن.

ولكنَّ هذا السجال يمتد لما بعد حلقة النقاش، حيث يأتي ديفيد في مداخلة متأخرة ليضع إسرائيل محل فلسطين، وأنَّ تاريخ فلسطين يبدأ من عام 1947م، حيث ترد عليه هناء بأن تاريخنا يبدأ منذ آلاف السنين، وأنــك بحــاجة لأن تتعلم ما ينقصك.فردَّ عليهــا: (وقد حان الوقت لكي أتعلمه (ص35) وكانت رغبته في مزيد من الحديث معها أن دعاها على الغداء في اليوم التالي، وبذلك تبدأ تلك العلاقة المحرمة بين طالب الحقــوق الأمريكي اليهــودي الأصل، وبيــن طالبــة الحقوق الفلسطينية، وجهة النظر الفلسطينية المتطرفة كما يسميها: (ص16، 17و19) تنقل لنا الرواية ما تردِّدُه وسائل الإعلام من هوس التطرُّف الديني، فهذا الحوار الذي يتم بين إياد وزميله إبراهيم يبين عن هذه الوجهة، حيث يقول إياد لإقناع زميله بالمهمة التي سيقومان بها: قال له إيـاد عندِ لقائهما الأول مستعيدًا عظةً كان قد سمعها من إمام أصولي: " حيثما كنتم اقتلوا اليهود، وإنَّ من يضع حزامًا ناسفًا على وسط أبنائه يباركه الله، ما من يهودي يؤمن بالسلام، كلهم منافقون كذبة".

كما تظهر وسائل الإعـلام الغربية، وكيفية دعمها لليهود، وطريقة نقلها للأخبار، فالإعلام الغربي من وجهة النظر الفلسطينية منحاز تمامًا ومؤيد للإسرائيل: "العالم بأسره يبكي لوفاة طفل يهودي، لكن ما من صحيفة تهتم لتغطية أنبــاء مــوت الفلسطينيين وأمريكا شريك في مأساة الفلسطينيين "الإرهابي الحقيقي لم يكن الإسرائيلي وحده، بل الأمريكي أيضًا بل هي الراعية لهذا الإرهاب، والحامية للصهيونية العالمية وإرهابهـا، والتـي احتلت العراق لاغتصاب ثرواته، والهيمنة على دول الشرق

الأوسط.

وصف حال الفلسطينيين في الشتات: إذا كان النموذج الأمريكي قد نجح في اقتلاع الهنود الحمر وإحلال شعب آخر محله، فإنَّ هذا النموذج هوما تطبقه إسرائيل، ولذلك استخدمت كل للوسائل لتطبيق فرضيتها: أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض. ومن هنا كانت مذابح إسرائيل في قبية، ودير ياسين، وغيرها السبب في الشتات الفلسطيني، وإنَّ هذا الشتات ليتكرَّر في كل لحظة، ففي حرب 1967م تكرّر، وما تمَّ في اجتياح لبنان تهجير ثالث، وشاركت بعض الدول العربية في هذا التهجير، فما حصل في أيلول، وفي غيرها من الدول العربية هوتجدُّد لهذا الشتات.

وتحاول الرواية أن تعطي انطباعًا بالإنصاف عندما تذكر المحرقة، وتذكر ما حصل للفلسطينيين في مذبحة صبرا وشاتيلا، فتاريخ اليهود يبدأ بعد المحرقة، وتاريخ الفلسطينيين يبدأ يوم مقتل أفراد عائلة صائب (على يد المليشيا بغطاء فعلي من الجيش الإسرائيلي وإذا كان الرقم 8 هورمز الحياة الجديدة في الكتاب المقدس عند اليهود، فإنَّ المفتاح هوالرمز لعودة الفلسطينيين.

المفتاح الرمز يقبع على غلاف الرواية، ولهذا المفتاح قصص كثيرة ومتعددة ومحزنة عند عديد الفلسطينيين. نظر دافيد إلى المفتاح مرة أخرى وقال:

ما هذا المفتاح الذي تحملينه؟

قالت هناء: إنَّه مفتاح منزل والدي في الجليل.

كما نجد الرواية تبين عن الواقع المؤلم للفلسطينيين في مخيمات الشتات: فمخيم اللاجئين ليس أكثر من مجرور مكشوف، وتربة تبتلع الموتى.

صورة الوضع الفلسطيني في الأرض المحتلة: الحياة لا تكاد تُطاق على الرغم من اتفاقيات أوسلو، والسماح لمنظمة التحرير بالدخول إلى مناطق الضفة الغربية وغزة، لم يمنع إسرائيل من التحكُّم في تفاصيل الحياة اليومية للفلسطيني، فالمعاناة الشديدة التي يلقاها كل فلسطيني إلى عمله إلى مدرسته، إلى علاجه لا تكاد توصف، فمن أجل أن يصل إلى مكان عمله الذي لا يبعد عن بيته بضع كيلومترات فهوقد يحتاج للوقوف ساعات في طوابير في مئات الحواجز العسكرية التي تقطِّع أوصال الضفة الغربية، وكثير من الناس أصيبوا بجلطات بل بعضهم قد توفي على هذه الحواجز، وهذه حقيقة مرة تذكرها الرواية، فإبراهيم الشاب المكلَّف بقتل رئيس الوزراء الإسرائيلي يتذكر كيف فقدت أخته جنينها بسبب هذه الحواجز، أما الاعتقال التعسفي، والتوقيف بلا ذنب، والاشتباه في الجميع، والتعذيب، والقتل أحيانًا على الحواجز، بل وجعل بعض القرى مكبًّا للنفايات، وسرقة المياه، وتحويل حياة الفلسطينيين إلى عذاب دائم، هوفي نظر الإسرائيليين الضربة الاستباقية التي تحميهم من خطر محدق.

الأصولية الدينية:

الإسلام يحضر حضوراً باهتاً. فنرى الرواية تذكر الإسلام الأصولي على أنه فقط شيخ متطرف، يبرر العمليات الانتحارية كمدخل إلى الجنة. والبطلة نفسها تقول إنها فتاة مسلمة. ومع ذلك تمارس الخطيئة مع (دافيد وولف) على الرغم من كونها مخطوبة ثم زوجة وأم. فالإسلام هنا في الرواية قشرة رديئة يظهر من تحتها اللحاء المتعفِّن، من أصوليين متطرفين، إلى مسلمين بالهوية يرتكبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ويرد ذكر القرآن الكريم في معرض الاقتباس (الآخرة خير وأبقى) أوفي القول بأنَّ على الفتاة أن (تتحجب، وتقرأ القرآن، وتصلي خمس مرات في اليوم.

حاول الروى الجمع بين الأصولية الدينية في الأديان الثلاثة تبدومحاولة للإنصاف، فالحوار الذي دار بين ابن آرون ودافيد حول هذه الأصولية يقرِّب بين هذه الأصوليات، قال دافيد: (إنَّ الخطر الأكبر على عملية السلام يأتي من الأصولية الدينية، أوبالأحرى من التطرف الأصولي) وهنا يعرِّف بن آرون الأصولية بأنَّها (اعتقاد ويقين، إنَّها أيديولوجيا وليست دينًا، فحماس والمستوطنون المتطرفون

عندنا يشتركون في المنطق المشترك بينهما ذاته، ويلتقيان مع الأصولية المسيحية الدينية في أمريكا هذه الأصولية التي تعتقد أنَّ على اليهود والعرب إفناء بعضهم البعض كضرورة لأزمة قبل الظهور الجديد للسيد المسيح. وهذه الفكرة بل هذه الأسطورة المسيحية تتكرَّر في الرواية، ومضمونها (حينما تحتل إسرائيل أراضيها التوراتية... فإنَّ فيالق الدَّجال ونحن نفترض أنهم يعنون المسلمين بهذه التسمية، سوف تهاجم اليهود بادئة معهم معركة فاصلة كبرى في وادي آرمائيدون... وعندها فإنَّ اليهود الذين لم يعرفوا المسيح سيحترقون..

فحركة (مسعدة) التي أنشأها اليهودي (باراك ليف) وحركة (رابتشر) التي أنشأها بعض الأصوليين المسيحيين، وحركة (حماس) كلها تشترك في التطرف الأصولي في هذه الرواية، وهذا الجمع يساوي تمامًا بين الضحية والجلاد، فمساواة من يدافع عن أرضه، مع محتل الأرض، أوكمن يعيش في الولايات المتحدة ويقوم على تنفيذ سياسة معينة تحقق مصالحه سواءٌ أكانت دينية أم اقتصادية؟ يسطِّح الرؤية ويغشي المشهد بضبابية تحت زعم العرض بحيادية.

حضور لبنان ومجزرة صبرا وشاتيلا: الحضور لهذه المجزرة يبدومنصفًا في العرض، حيث يذكر الفظائع التي تمَّ ارتكابها في هذه المجزرة، فابن آرون رئيس الوزراء الإسرائيلي يقول واصفًا ما حدث: (قمت بدخول المخيم، هناك شاهدتُ أطفالا قد انتزعت جلود رؤوسهم، ونسوة قد تعرضن للاغتصاب قبل ذبحهنَّ من الوريد إلى الوريد، أما الناجون فقد كان من بينهم أطفال ممن فقدوا رجلا أوذراعًا، وبعضهم فقد أكثر من ذلك كله، فقد عقله ولكنه في التصميم يوجه الجريمة لمرتكبيها من مليشيات مسيحية، ويحاول التذكير بالمظاهرات التي قامت من قبل اليهود استنكارًا لهذه الجريمة، كما ويذكر بمليون طفل يهودي أرسلهم هتلر للمحارق، وكأنَّ هتلر في هذا السياق من أصل فلسطيني، ولذلك نجد بعض الآراء التي تشبِّه الفلسطينيين بهتلر، وأنَّ ما فُعِلَ بالفلسطينيين من مجازر إنَّما هوضربة استباقية كي لا يتعرض اليهود لمحرقة جديدة.

قضية السلام: لعلَّ فكرة الرواية في قتل رئيس الوزراء الإسرائيلي الذي تسميه الرواية "ابن آرون" هي قضية معاهدة السلام التي قامت بين عرفات ورابين من خلال محادثات أوسلووكامب ديفيد، ومن أجلها قُتل رابين على يد متطرف يهودي وليس فلسطينيًّا، ولعلَّ وجهة النظر التي تعرضها الرواية من زواياها المختلفة هي ما هوحاصلٌ فعلاً، فالاختلاف على هذه المعاهدة لا زال إلى اليوم مثار احتدام للآراء المتضادة، فالموافق، والمخالف، والمعترض، والمتحفظ. فالأرض مقابل السلام تعبير إسرائيلي ذكي لمفاوض محترف، فأي أرض مقابل السلام، إنها جزء من أرضي أنا يعطيني من لا يملك لكي أعطيه السلام، وصدق القائل في وعد بلفور، (لقد أعطى من لا يملك لمن لا يستحق) ومن هذا المنظور أصبح الذي لا يستحق هوالذي يعطي بعض الأرض من أجل السلام، فابن آرون يرى أنَّ العقبات في وجه السلام تكمن في ثلاث قضايا:

- قضية المستوطنات
- وقضية القدس
- وقضية العودة

فالمستوطنات التي بُنيتْ على أراضي الفلسطينيين التي احتلت عام 1967م تكون هي الأرض مقابل السلام، وأما القضيتان الأخريان فهما لبُّ المشكلة والعقبة الرئيسة كما يقول ابن آرون: (ربَّما كانت أعظم عقبة في سبيل السلام هي الخرافات التي يحيا عليها كثير من اليهود والفلسطينيين معًا... تابع ابن آرون هي أنَّ الله قد وهبنا حقوقًا حصرية في القدس وما وراء القدس أي الضفة الغربية، أمّا خرافتهم العظمى فهي حقُّ العودة، وتصوُّر السلام في الرواية هوما يطرحه الإعلام الصهيوني في طرفيه، الطرف اللَّيِّن الذي يعطي الفلسطينيين بعض الأراضي مع سيطرة عسكرية وأمنية إسرائيلية، والطرف المتطرف الذي لا يرى للفلسطينيين أي حقٍّ، فالوجهة الأولى تظهر في رأي ابن آرون الذي يرى:

(أنَّ كثيرًا من الفلسطينيين مثل الكثير من الإسرائيليين يرغبون في إحلال السلام. أما الوجهة المتطرفة فترى في السلام (خيانة للمنحة الإلهية التي وهب الله بموجبها الضفة الغربية "يهودا والسامرة "اللتين جاء ذكرهما في التوراة للشعب اليهودي.

وإيجازًا لفكرة السلام يضع رئيس الوزراء ابن آرون خطته التي تتضمن النقاط التالية:

- إبعاد من هم من أمثال حماس
- تكـوين جهـاز أمنـــي فلسطيني من كتائب شهداء الأقصى
- إنهاء حواجز التفتيش الخانقة.
- إنـاء أعمـال التـوقيف الاعتبـاطيـة، والإهانات المذلّة.
- المباشرة في محادثات لوضع حدود عادلة تضمن لنا الأمان.
- وضع برنامج للتعويضات على أحفاد اللاجئين الفلسطينيين.
- تفكيك المستوطنات غير القانونية.
- إبقـاء القدس مدينة مفتوحة وعاصمة لكلا الشعبين.

حماس والإرهـاب: تظهر حماس في الرواية الطرف غير المرغوب فيه، بل الطرف الإرهـابي الـذي يجب التخلص منه، إذ إنَّ (معظم الإرهابيين الذين يشنون عمليات انتحارية في إسرائيل ينتمون لحماس، كل الذين يدورون في فلك حماس يؤمنون بضرورة تدميرنا. فتصور السلام يكون بـ (أن تضع إسرائيل يدها بيد أخصام حماس من أجل تأسيس دولـة فلسطينية قابلة للحياة في المناطق التي يسيطر عليها الجنود الإسرائيليون. والفلسطينيون عمومًا إرهابيون فهم (يزنرون شبابهم بالعبوات الناسفة، ويرسلونهم لنسف اليهود، إنَّهم يكرهوننا، وخصوصًا حماس بل إنَّ حل الدولة الفلسطينية غيـر مرغوب فيه لأنَّها ستكون ملاذًا لحماس.

والسعي من أجل السلام كي تكون السلطة قادرة على لجم حماس، وإلا (فالبديل الأول والأسوأ هو حماس وذلك يكون بالتعاون مع فاراس قائد السلطة الفلسطينية، (لن تستطيع إسرائيل أن تنجز ذلك بمفردها فقائد السلطة الفلسطينية مروان فاراس رجل مناهض للعنف... نريد قيـادة فلسطينية عـازمـة وقـادرة على سحق الإرهـاب واجتثاث الفساد، وتقديم الخدمات إلى شعبها، ووقف هذا السيل من الأحقاد التي تحوِّل الإرهابيين الانتحاريين إلى أبطال إذا كان باستطاعة فاراس أن يعد الفلسطينيين بما تريده غالبيتهم وهوإنهاء الاحتلال، فربما يتحوَّل شعبه عن تأييد حماس.

فكرة قتل رئيس الوزراء الإسرائيلي: لقد استثمرت الرواية مقتل "إسحاق رابين" صاحب مفاوضات السلام مع عرفات، استثمارًا يبتعد عن الرمزية والتلميح ليصل إلى الوضوح والتصريح، ولعل القسم الثاني من الرواية بفصوله الأربعة والعشرين تبين عن ذلك، فالأفكار التي يدلي بها "ابن آرون "هي أفكار "إسحاق رابين"، ولكن وبدلاً من أن يكون القاتل الحقيقي متطرفًا يهوديًّا، حوَّلت الرواية ذلك إلى شابين فلسطينيين، وتبدوالرمزية هنا فـي أنَّ قتل داعية السلام "بن آرون" هوقتل لعملية السلام ذاتها.

الحضور العربي: العرب كان حضورهم في الرواية حضورًا باهتًا وغير لائق، فهم أدوات للسياسة الأمريكية، يقومون بتنفيذ سياساتها على أكمل وجه، فالولايات المتحدة تستخدمهم لتعذيب سجناء القاعدة (إنَّا نحيل المشبوهين بالإرهاب إلى بلدان صديقة لنا لكي يجري تعذيبهم فيها، بل إنَّ تهديد هـؤلاء المشبوهين ببعثهم للشرق الأوسـط يجعلهم يتكلمون ويعترفون، فتعذيب أمريكا أرفق وأرحم من تعذيب العرب. بل إنَّ إسرائيل أكثر عدالة من العرب فهي (منارة للعدالة في منطقة لا تعرف سوى القليل من العدل، وأما حضور لبنان فيظهر من خلال الوجود الفلسطيني في مخيماتها، وبالذات مجزرة صبرا وشاتيلا على يد المليشيات المسيحية.

المحرقة: لعلَّ هذا الحضور الملِحَّ للمحرقة محاولة لتضخيم آلام اليهود على حساب الفلسطينيين، وهي الحاضر الدائم في كل مناسبة، فقد أصبحت لازمة إعلامية، قصصية، إخبارية، سياحية، حتى في المقالات والمحاضرات، بل وزيارات الوفود، لا بدَّ من إثباتها لتكون الشعلة التي تنطلق منها مشاعر الحزن على ما أصاب اليهود في زمن هتلر، فالرواية تحشر المحرقة من خلال الحديث عن خطيبة دافيد، فوالدها (هارولد) من الناجين من المحرقة، وهويريد أن يزفَّ ابنته في تاريخ هذه المحرقة، رغبةً منه في إحياء تلك الذكرى، بل إنه يرغب في الاحتفال بزواج ابنته نيابة عن أرواح الموتى من الذين ماتوا في معتقلات هتلر.

ومن زاوية أخرى تظهر هذه المحرقة في تبيان وجهة النظر الفلسطينية، بأنَّ الفلسطينيين ليسوا مسؤولين عن جريمة لم يرتكبوها هذا إذا حصلت حقًّا، بل إنَّ الفلسطينيين دفعوا ثمن هذه الجريمة قبل أن تكون، بل (قبل أن يولد هتلر. وبطلة الرواية هناء الفلسطينية لا تنكر حصول المحرقة، لكنها تنفي تحمُّل مسؤوليتها، فمن ارتكبها يتحمَّل هذه المسؤولية، لا أن تُناط بغيره، (لست أنا من ارتكب جريمة المحرقة، كما أنَّني لا أُنكرُ حصولها. وتسير المحرقة بين ثنايا الرواية كلازمة تذكيرية بمعاناة اليهود، فالإشارات إليها في عديد الصفحات تمر، من ذلك العرض لبعض صور المحرقة كما جاء في. حيث يروي هارولد والد كارول خطيبة دافيد أنهم أجبروا الحاخام على ذبح خنزير، كما أجبروا زوجته وأطفاله على الجري والصهيل مثل الخيول،... وما رواه الولد من أنَّ الألمان قد أجبروه على دفن والديه أحياء وتستمر هذه الصفحة والتي تليها في تصوير العذاب الذي لحق باليهود من سجن وقتل وتشريد، فتحول الشعب اليهودي إلى رماد ودخان، وأكل الأحياء من سجناء اليهود الموتى هومن تلك الصور التي تقدمها الرواية، وأخيرًا عدد الضحايا الذي يثبت كرقم لا يأتيه النقص والتحريف فستة ملايين ضحية، هم ضحايا المحرقة، هومشهد كما تؤكد الرواية (أســوأ ما يمكن أن يشهده الإنسان من ظلم أخيه الإنسان)

وإذا كانت المحرقة تكاد تكون اللازمة في كثير من صفحات الرواية، فإنَّ عذابات اليهود واضطهادهم ترد على ألسنة شخصيات الرواية بإلحاح فـ (بين الضحايا التاريخيين للظلم والتفرقة العنصرية يقع اليهود في المقدمة، لذلك فإنَّ اليهود يعرفون الإحساس بالظلم أكثر من غيرهم (لقد عانى الشعب الإسرائيلي فيما مضى من مأساة كبيرة و(لا أريد أن أذكـــر المآسي التي تعرَّض لها اليهود في الماضي، فاليهود عاشوا (ثلاثة آلاف سنة من الموت والاضطهاد.

وهـذه العـذابات التـي تعرضها الـروايـة دون ملل تبدوكمثير من مثيرات الإحساس بالظلم الذي وقع على اليهود، وتبرير ما يفعلونه حفاظًا عليهم وعلى مستقبلهم.

الوضع الأمني الحساس لإسرائيل: يظهر الهاجس الأمني في عديد فصول الرواية، فمن أجل الهاجس الأمني تُبنى المستوطنات لتكون نقاط عسكرية مشرفة على القرى والمدن الفلسطينية، ومن أجل هذا الهاجس تصبح المستوطنات في رأي بعض راغبي السلام في إسرائيل كابن آرون مشكلة أمنية فـ (المستوطنات تحتاج إلى عدد كبير من الجنود الإسرائيليين من أجل حماية عدد قليل نسبيًّا من المستوطنين، إنَّهم أبعد من أن يكونوا متاريس متقدِّمة، بل إنَّهم صاروا هاجسًا أمنيًّا قوميًّا تدور حوله حياتنا السياسية، وبالوعة تستنزف أموالنا العامة.

ومن أجل الأمن قُطِّعت أوصال الأراضي المحتلة بمئات الحواجز العسكرية، (نحن نجد أنفسنا غارقين في أوحال الرعب الناتج عن استمرار الانتفاضة حيث يقتلنا الإرهابيون في الباصات والمقاهي ولكي نحارب التفجيرات الانتحارية فنحن نقيِّد حركة الفلسطينيين أجمعين بنقاط تفتيش.

والجدار العازل هومن أجل الأمن أيضًا (إنَّ هذا الجدار الأمني قد قصد به حمايتنا ضد هجمات كتائب الأقصى، وحماس، والجهاد الإسلامي.

بل إنَّ الخوف من التوجه الديني عند الفلسطينيين هوأيضاً هاجس أمني، وسبب من الأسباب التي تدعوبعض المسؤولين الإسرائيليين كي يبحثوا عن سلام ما (تخيَّل دولة إسلامية أصولية عند عتبة بيتنا، على بعد 60 ميلاً من تل أبيب، إنَّه كابوسٌ مرعبٌ أرغب في منع حصوله)

الجالية اليهودية وتأثيرها في السياسة الأمريكية: لم يعد سرًّا ما لليهود من تأثير في صناعة القرار الأمريكي، فهذه الجالية هي التي تموِّل الحملات الانتخابية لمؤيديها من اليهود وغيرهم، فكارول الثرية تقيم مناسبات اجتماعية لتمويل حملة دافيد للوصول للكونجرس، بل يصل بها الأمر لدعوة رئيس الوزراء الإسرائيلي لبيتها، وعظم تأثير هذه الجالية في الحياة السياسية في أمريكا، قدرتها في إيصال من تريد إلى الوظائف العليا بما فيها الرئاسة، وقدرتها على التحكم في توجهات هؤلاء، بحيث أنَّ من يخالف أويخرج على العرف السائد بتأييد إسرائيل فقد يواجه بالقتل، فعندما قرَّر دافيد الترافع عن هناء جاءه التهديد من والد خطيبته كارول (هنا أيضًا يوجد يهود متطرفون غاضبون... سوف يختارون قتلك)

وعدا عن التهديد بالقتل، فإنَّ أي طموح سياسي لأي شخص مهما كان، حتى لوكان يهوديًا مثل دافيد، يحاول أويظهر عليه شيءٌ ولويسير من المخالفة لسياسة إسرائيل فهوطموح محكوم عليه بالفشل، (فجميع السياسيين في حزبنا - الحزب الديمقراطي - منشغلين في استرضاء إسرائيل ومؤيديها، وبذلك فسوف تكون منبوذًا، فمن يريد أن يبني له مستقبلاً سياسيًا في الولايات المتحدة عليه أن يكون مؤيدًا. وتصف الرواية أساليب الحرب المتبعة ضد كل من يؤيد فكرة حتى لوكانت منطقية ضد إسرائيل، فدافيد واجه حربًا على جميع الجبهات، إذ بدأ موكلوه يسحبون قضاياهم منه، وسحب الدعم المالي والسياسي ممن وعدوه بذلك، الهجوم الإعلامي بكل وسائل الإعلام، والرسائل المهددة، والاتصالات المتوعدة، بل وصل الأمر إلى اتهامه بالنازية. فالفصل السادس عشر من الرواية من القسم الأول يعطي الصورة الحقيقية عن تلك الحرب التي يشنها أصدقاء إسرائيل ضد كل من تسوِّل له نفسه مغادرة قطار التأييد الأعمى، والحضور الدعائي لليهود في كل مكان، فعلى طاولات هذا المنتجع تقبع المطويات التي تتحدَّث عن الإنجازات اليهودية في فلسطين، فالفكرة التي قامت عليها إسرائيل من أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، وأنَّ هذه الأرض كانت صحراء قاحلة حولتها جهود اليهود إلى أرض تموج بالخضرة، ويظهر مضمون المطوية من عنوانها (يوم في حياة إسرائيل) وهوعبارة عن كتالوج للإنجازات الصهيونية من: مدارس، ومدن، وصحاري تحوّلت إلى جنائن نابضة بالخضرة والبساتين والكروم والثمار المتعددة الألوان.

قال ديفيد: (نحن موجودون في كل مكان، بل إنَّ الموساد وكالة المخابرات الإسرائيلية قادرة على الوصول

إلى أي مكان (بلحظة يكون للإسرائيليين عيون وآذان في كل السفارات الموجودة في أمريكا تقريبًا، إنَّهم يجندون الأشخاص الذين يستطيعون أن يجلبوا لهم المعلومات الحساسة.

بل إنَّ عبارات ترد تبين عن أنَّ إسرائيل فوق القانون، بل هي لا تسمح لأمريكا إذا طلبت أمرًا لا تريده، فقد رفضت الحكومة الإسرائيلية الإفصاح عن المدبّرين للجاسوس بولارد الذي اعتقلته الولايات المتحدة يتجسس للإسرائيل.

وقفة أخيرة مع وجهة نظر خاصة:

بناء الرواية على قصة حب بين الفلسطينية هناء عارف الطالبة في جامعة هارفرد، واليهودي الأمريكي دافيد طالب الحقوق في الجامعة ذاتها، هوالبناء الفلسفي الإيحائي الذي تحاول الرواية من خلاله تبيان الحدود والسدود، والممكن والمستحيل، وعرض الرواية لأغنية مارسيل خليفة التي تتحدَّث عن (حكاية رجل فلسطيني أحبَّ امرأة إسرائيلية، وهويقول فيها: بين عينيَّ وبينها تنتصب ماسورة مدفع، توحي بهذا، وفي الرواية تمَّ قلب الحكاية لتكون الفلسطينية هي المحبوبة، وتظل التقاليد والعادات والتاريخ هي الحاجز للوصول إلى هذا السلام المتعثِّر.

التعليق على فكرة الزمان: لقد قامت إسرائيل على فكرة الزمان، وجعلت هذا الزمان في صالحها فقط، فالزمان كفيل بنسيان الفلسطينيين أرضهم، بل محوها من الذاكرة، فالجيل الأول الذي رُحِّل عن الأرض سيتذكرها، وينقل جزءًا من هذه الذاكرة للجيل الذي يليه، ثمَّ تتناقص هذه الذاكرة حتى تبهت وتضيع، فلا تعود الأجيال القادمة تحتفظ بشيء منها. كما يقول دافيد: (إنَّ ما تزهوبه الذاكرة يمحقه الزمان) على الرغم من أنَّ الزمان المتطاول في القدم لم يمح من ذاكرة اليهود أنَّهم سكنوا فلسطين في غيابات التاريخ، واتخذوا من هذه السكنى الاحتلالية الهامشية مبرِّرًا للعودة لاحتلالها.

فكرة أرض بلا شعب: هذه الفكرة التي بنت عليها إسرائيل إعلامها الموجَّه للعالم، ففلسطين أرض خالية من أهلها، جرداء قاحلة، جاء اليهود وسكنوها وعمّروها حتى أصبحت جنانًا وارفة، تتأكَّد في هذه الرواية، فالأرض كما يقول دافيد: "لا تصنع شعبًا، إنَّما الشعب هوالذي يوجد الأرض"، ومع عدم اقتناع دافيد بهذه المقولة الساذجة، وهي: أنَّ إسرائيل أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، فإنَّ (بقاء إسرائيل ضرورة أخلاقية،

واقعية الرواية أوخياليتها: إذا كان الراوي يعترف بأنَّ أحداث هذه الرواية من واقع الخيال وأنها لم تحدث، فإنَّ الخيال كان ظلاً شفّافًا لواقع حقيقي تتحدّث عنه الرواية، فكل الأحداث العامةً والأفكار المطروحة، والنقاشات المحتدمة، والأدلة والبراهين، كلها تغرف من سفر الواقع، واقع القضية الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو، ولذلك لا مجال للحديث عن رؤية متخيلة فقط، حتى أسماء شخصيات الرواية تنتمي للواقع، فهناء، وصائب، ورئيس السلطة فاراس، ومروان، وإياد، تكاد تظهر من خلالها الأسماء الحقيقية لمجموعة قادت المفاوضات من الجانب الفلسطيني، كمحمود عباس، ومروان البرغوثي، وصائب عريقات، وحنان شعراوي وغيرهم.

الشخصية القصصية: تظهر الشخصية القصصية من خلال مرسم ثقافي غربي، يبعد في ميسمه بعدًا كبيرًا عن ميسم كل شخصية في دينها، وثقافتها وعاداتها، وطبيعة مجتمعها، لقد وضع الراوي غالب الشخصيات في قالب ثقافته هو، فهناء الفلسطينية المسلمة المدافعة عن كيانها ووجودها، القوية في حضورها ودفاعها عن مبدئها، تغدوفي سلوكها بل وأسلوب كلامها أمريكية، فهي تقول عن نفسها أنها "شخصية متناقضة مسلمة، يسارية، نصف مراعية للعادات الإسلامية" وبينما تقوم بفعل الخطيئة، ومع يهودي تخون خطيبها وزوجها بعد ذلك، فهي تقول: (مع أنَّني أُصلي حتى يبقى صائب جاهلاً) فهذه العبارة لا توجد في أسلوب ثقافتنا، وعبارات مثل "فليباركه الرب" لا تكاد توجد في قاموس المسلمين، ولا تثريب على الراوي، فثقافته وثقافة مجتمعه تفرض عليه

بعض المصطلحات، وعلى الرغم من زيارة الشخصية الأساس لفلسطين وهي زيارة الراوي نفسه، واستعانته ببعض من يعرفون الشأن الفلسطيني مثل الدكتور جيمس زغبي وغيره، فقد تند منه عبارات قد لا تتفق والسياق الثقافي لبعض الشخصيات، أوالأفكار والعبارات.

شخصية بطلة الرواية هناء شخصية باهتة وغير مقنعة: وما خشي منه الراوي من أنَّ ما كتبه قد لا يعجب الأصوليين من كلا الطرفين، وأنَّ شيئًا ما في الرواية قد لا يعجب بعض القراء، فذلك وارد في معظم الروايات التي تجد لها أنصارًا أومعارضين، ولكنَّ خوف الراوي يبدولي من أنه كان يعالج بعض الأمور والقضايا وبخاصة ما يتعلق بجوانب فكرية أواجتماعية أوحتى دينية من منطلق ثقافته هو، فهناء المتناقضة، التي تدعي أنها لن تخون أهلها وقضيتها، في الوقت الذي تمارس فيه الخيانة الحقيقية لشرفها وزوجها وابنتها، وحلف اليهودي دافيد وقسمه بالمسيح حين يقول: (بحق المسيح أنا مجرد إنسان، وذكر رئيس السلطة الفلسطينية مرة باسم "مروان فاراس" في، ثمَّ يتغير إلى أحمد فاراس، ويبدوأنَّ هذا خطأ مطبعي، أونسيان، إذ كان يريد استيحاء وجمع اسمي مروان البرغوثي ومحمود عباس، ثمَّ غير إلى اسم أحمد، وهذا أيضاً حصل في الحديث عن رام الله ليخطيء ويذكر أريحا.

حضور هتلر: يتكرّر هذا الحضور في تشبيه الفلسطينيين به، فالحاج أمين الحسيني هوهتلر، والمتشددون الفلسطينيون هم مثل هتلر، بل إنَّ المقارنة بين جرائم هتلر ودفاع الفلسطينيين عن أنفسهم يأتي في الرواية، وكأنَّ على الفلسطينيين دفع فاتورة هتلر صحّت أم لم تصح، وكأنَّ هتلر من أصول فلسطينية !

الإنصاف: الظهور بمظهر الإنصاف بالعرض لوجهتي النظر، بل للحوادث التي حدثت للفلسطينيين واليهود، لم يكن مقنعًا لا في العرض ولا في التصوير، والمحاولة الدائمة للضرب على وتر أنَّ الشعبين تعرَّضا للظلم والاضطهاد، هومن باب مقارنة ظالمة وغير منطقية، كما تحاول الرواية أن تظهر ذلك من خلال محاورات عديدة وكذلك في خطاب بن آرون والمحاورات التي دارت بينه وبين الحضور، فوجهة النظر الإسرائيلية الحاضرة دائمًا القدر التاريخي، والهبة الإلهية لشعب إسرائيل في أرض فلسطين، وادعاء الفلسطينيين بحقهم في هذه الأرض، كما تظهر المقارنات غير المنصفة، فالفلسطينيون يحيون يوم النكبة بالوقوف دقيقة صمت تمامًا كما يفعل اليهود في ذكرى المحرقة، والفلسطينيون يرزحون تحت الاحتلال الإسرائيلي تمامًا كما يخاف الإسرائيليون الموت على يد الانتحاريين، الفلسطينيون تعرَّضوا للعذاب والتشرد، وكذلك اليهود، فتاريخ اليهود والفلسطينيين واحد، ولكن ما لم يلمح إليه هوالفرق في الوضعين، فعذابات اليهود ليس للفلسطينيين يد فيها، بينما عذابات الفلسطينيين كلها بيد اليهود.

هل (المنفى) خدعة أم أنها بداية سقوط الستار الحديدي؟!

وإنْ كان مجرد العرض لوجهة النظر الفلسطينية هومغامرة جديدة حتى لوكان يصب في مصلحة أصحاب المحرقة، فأن تتعرَّض رواية لكاتب أمريكي لهذا الاختراق فشيٌ يدل على بداية تهتك الستار الحديدي الذي كان مفروضًا على الكتَّاب والإعلاميين في تناوله القفاز الحريري يخنق دون ظهور بصمات القاتل، والملمس الناعم للأفعى لا يغرنّك، فالسمُّ في الأنياب قاتل، فهل هذه الرواية جزء من الإعلام الصهيوني المنسَّق والمرتَّب عاطفياً، كي تدفع الضحية ثمن الوقت الذي أمضاه الجلاد في تعذيبها وقتلها؟

أم أنها على رأي مؤلفها محاولة (لسرد حكايات الناس على الطريقة الفضلى التي تسهل المشاركة الإنسانية بين اليهود والعرب العالقين في دوامة الصراع المأسوي، وأنَّ (إدراج رواية فريق ما لا يعني بالضرورة المصادقة على هذه الرواية، ولا ممارسة ذلك المعتقد. للقارئ رؤيته، وله الحق في الحكم؛ وللراوي الوجهة التي هومولِّيها.

اللقاء التشاوري مع الجامعات الوطنية

أقام المكتب التنفيذي لجائزة يوسف بن أحمد كانو لقاءاً تشاورياً دعى إليه مجموعة من كبار الأساتذة بالجامعات الوطنية من أجل تقييم تجربة الجائزة وبرامجها ومشروعاتها المستقبلية بقاعة يوسف بن أحمد كانو في بيت القرآن.

مبارك سعد العطوي

شارك فيه كلاً من الجامعات الوطنية التالية:

سعادة الأستاذ الدكتور علي منصور آل شهاب

نائب الرئيس للبحث العلمي

جامعة البحرين

سعادة الدكتور حسين محمد نور المدني

نائب رئيس الجامعة

جامعة المملكة

سعادة الأستاذ الدكتور موسى محمد النبهان

أستاذ تربية الموهوبين

جامعة الخليج العربي

سعادة الدكتور أحمد عزام المصري

نائب عميد كلية الدراسات العليا لشئون الدراسات التربوية - مستشار رئيس الجامعة

جامعة العلوم التطبيقية

سعادة الدكتور شوقي الدلال

عميد كلية الدراسات العليا والبحث العلمي

الجامعة الأهلية

حيث عبر الدكتور عبد اللطيف جاسم كانو نائب رئيس مجلس الأمناء في بداية اللقاء عن سعادته للتجاوب الجميل لجامعاتنا الوطنية للمشاركة والمساهمة ومساندة الهيئات والمؤسسات الأهلية الثقافية والعلمية في مملكة البحرين. وأكد بأن فكرة هذا اللقاء تأتي للتواصل والتعاون والتنسيق مع الهيئات العلمية والثقافية الرسمية في البلاد وإيجاد الأرضية الإيجابية للتعاون معها والتي تشكل أهم الروافد العلمية وأهم الشركاء في الحراك العلمي والبحثي في المملكة.

بعدها تم استعراض تجربة جائزة يوسف بن أحمد كانوقدمها الدكتور سعيد بن عطية أبوعالي عضومجلس الأمناء ورئيس المكتب التنفيذي للجائزة وطرح من خلال ورقته مسيرة الجائزة بداياتها والتطورات التي صاحبت أعمالها وكذلك بعض الأفكار والآراء للمشاركين لتشكل لهم انطلاقة لتقديم رؤاهم ومقترحاتهم حول تطوير أعمال الجائزة وفعالياتها.

في ختام اللقاء قدم المشاركين شكرهم وتقديرهم واعتزازهم بهذه الجائزة ولعائلة كانوالكرام لمثل هذه المبادرات الإنسانية والعلمية والثقافية لخدمة العلماء والباحثين والتي تشكل إضافة إيجابية مميزة في مسيرة عطاء العائلة في خدمة الناس والمجتمع وإبراز المكانة العلمية للمملكة على المستوى الاقليمي والعربي.

تحديث الموقع الإلكتروني للجائزة

ضمن سياسة التطوير والتحديث تم التعاقد مع أحد الشركات المتخصصة للمواقع الإلكترونية لرفع كفاءة الموقع وإضافة العديد من الأبـواب والخدمـات للترويج للجائزة وأهـدافهـا وبـرامجهـا ولتفعيل التواصل مع المفكرين والباحثين والمؤسسات الثقافية والعلمية والاجتمـــاعية ومؤسسات المجتمع المـدني والهيئات الرسمية والخاصة.

ويشرف السيد عبد العزيز جاسم كانو على الجهود المبذولة في هذا الخصوص وأكد على ضرورة استمرار هذه العملية والسعي لإبراز كلما من شأنه زيادة انتشار أعمال الجائزة وفعالياتها والمساهمة في دعم الحراك الثقافي والعلمي في مملكة البحرين والوطن العربي.

الجائزة تمد جسور التعاون مع الهيئات العلمية والثقافية

يقوم المكتب التنفيذي بالتنسيق مع عدد من الجامعات الاقليمية حول إمكانية التعاون وتبادل المعلومات والخبرات وكذلك التعاون حول البرامج والمشاركات التي يقوم بها الجانبين حيث تم إعداد برامج متنوعة لإقامة بعض الدورات المشتركة في المجالات العلمية والثقافية.

وقد أثنى المجلس على هذه الخطوات التي من شأنها زيادة التعاون مع هذه الهيئات العلمية المتخصصة والارتقاء بنوعية الأعمال التي تقوم بها الجائزة.

وسيقوم المكتب التنفيذي بتقديم خطة متكاملة لتعزيز التعاون والتنسيق مع هذه الهيئات على شكل تعاون مشترك أورعاية أعمال وفعاليات ضمن خطة الجائزة للتنويع والترويج لهذه الفعاليات.

رحيل يوسف أحمد علي كانو

فقدت عائلة يوسف بن أحمد كانو واحداً من رجالاتها المميزين في مسيرة مليئة بالعطاءات المختلفة التجارية والاجتماعية والخيرية إنه رجل الأعمال يوسف أحمد علي كانو رئيس مجلس إدارة مجموعة كانوفي الإمارات وعمان، بعد صراع طويل مع المرض، عن عمر يناهز الاثنين والسبعين عاما مخلفا وراءه تاريخا حافلا بالإنجازات.

ولد المرحوم يوسف أحمد علي كانو في المنامة عام 1942، وأكمل دراسته الثانوية في مدارس البحرين، ثم تلقى دراساته الجامعية في بريطانيا، ونال درجة الماجستير في مجال إدارة الأعمال في جامعة أمريكية بولاية تكساس.

وبدأ المرحوم مشوار العمل التجاري رئيسا للمنطقة بشركة الملاحة التابعة للمجموعة بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية مطلع السبعينيات من القرن الماضي، ثم انتقل إلى العمل بالفروع التابعة للمجموعة في سلطنة عمان وأبوظبي، ثم نائبا لرئيس مجلس إدارة الشركة في كل عمان والإمارات.

بعد وفاة المرحوم حمد كانو رئيس مجلس إدارة المجموعة في عمان والإمارات، تقلد المرحوم يوسف بن أحمد كانو منصب رئيس المجموعة.

تزوج المرحوم يوسف كانو بقرينته البحرينية من عائلة الرشدان عام 1990م، لكنه لم يرزق بذرية، وكان راضياً بقضاء الله. كان رحمه الله، بمثابة المهتم والساهر على مصالح العائلة أسرياً وإجتماعيا قبل مصالحها التجارية حيث صرف عمره في تقوية روابط الاسرة على كافة المستويات. رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته وألهم ذويه الصبر والسلوان.. إنا لله وإنا إليه راجعون،،،